

اُشهر اُمہار العالم

بإشراف

الدكتور عز الدين فريد

• ٥ •

الهدسون نهر له تاريخ

نشر هذا الكتاب بالاشتراك
مع
مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
القاهرة — نيويورك
أبريل سنة ١٩٧٠

دار الشؤون الثقافية
بمصر
١٩ كنيسة الأرمن في الجيش
سليمان : ٩٨-٩٣

الهدسون نهر لک تاریخ

تأليف
مای ماکنیر

ترجمة
مصطفی عبدالهادی

مراجعة وتقديم
الدكتور عز الدين فريد

الناشر
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع
١٤ شارع جواد حسن - القاهرة
تليفون ٥٦١٥٥

هذه الترجمة مرخص بها ، وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بشراء
حق الترجمة من صاحب هذا الحق .

This is an authorized translation of **THE HUDSON** by May
McNeer. Copyright 1962 by May McNeer. Published by Garrard
Publishing Company, Champaign, Illinois.

المشتركون في هذا الكتاب

المؤلف :

ماي ماكثير : من أشهر كتاب القصص التاريخية والإقليمية لصغار القراء .
تخرجت في مدرسة بوليتزر للصحافة بجامعة كولومبيا . حصلت على جائزة توماس
أديسون . من بين مؤلفاتها عن حياة الأشخاص كتابان عن ويزلي وأبراهام
لنكولن ، كما ألفت عدة كتب ، من بينها كتابان عن ألاسكا وكاليفورنيا .

المترجم :

مصطفى عبد الهادي : يعمل بمشروع الصوت والضوء . تخرج في كلية
المعلمين ، قسم اللغة الانجليزية . حصل على دبلوم الدراسات الصيفية من كبرديج .
عمل مراقبا للعرض بمشروع الصوت والضوء ، رئيسا للتشغيل بمشروع قلعة
صلاح الدين .

المراجع والمقدم :

الدكتور عز الدين فريد : وكيل وزارة الثقافة سابقاً . تخرج في مدرسة
المعلمين العليا بالقاهرة سنة ١٩٢٨ . حصل على درجة الليسانس من جامعة
ليفربول سنة ١٩٣٢ ، وعلى الدكتوراه من جامعة لندن سنة ١٩٣٧ .

عمل أستاذاً بكلية التجارة جامعة القاهرة من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٥٥ ،
ثم مديراً لكلية الآداب بجامعة القاهرة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٦١ ، ومديراً
لمعهد الدراسات الأفريقية بكلية آداب القاهرة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٦٤ ،
كما عين رئيساً لمجلس إدارة الدار القومية للطباعة والنشر .

محتويات الكتاب

ط	تقديم بقلم الدكتور عز الدين فريد	...	...	...	...	...	...	...	...
١	١ - النهر العظيم الذى يجرى فى اتجاهين	...	...	...	...	...	...	...	...
١١	٢ - تحت سيطرة الهولنديين	...	...	...	...	...	...	...	...
٢٤	٣ - الملك يهب النهر	...	...	...	...	...	...	...	...
٣٢	٤ - الحرب تشتعل على ضفاف النهر	...	...	...	...	...	...	...	...
٤٩	٥ - وادى نهر الهدسون	...	...	...	...	...	...	...	...
٦٢	٦ - مدينة ناطحات السحاب	...	...	...	...	...	...	...	...



تقديم بقلم الدكتور عز الدين فريد

نهر هدسون من الأنهار الصغيرة جداً التي لا تكاد تلفت النظر على الخريطة ، وخاصة أن أمريكا الشمالية بها نهران آخران عظيمان هما: المسيسيبي ، وسنت لورنس . فطول الهدسون من منبعه إلى مصبه ٤٩٠ كيلومتراً فقط . أى نحو المسافة من القاهرة إلى سوهاج ، وطول أكبر روافده - وهو نهر موهوك - أقل من نصف ذلك . ولكن الأهمية التي بلغها هذا النهر في العصر الحديث توضح لنا أن العبارة ليست بالطول ، وإنما ترجع إلى مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية التي قد لا تتوفر في زمن من الأزمان - وعندئذ لا تكون للنهر أهمية تذكر - ولكنها متى توافرت فإنها تجعل من النهر شيئاً آخر ، وتغير مظاهر الحياة في واديه تغييراً شاملاً .

فقبل أن يفد الأوروبيون إلى أمريكا الشمالية كان الأهالي الوخشيون من الهنود الحمر ذوى حضارة بدائية ، في مستوى حضارات العصور الحجرية في العالم القديم . ولم يكن نهر هدسون بالنسبة إلى الأهالي الذين يقيمون في حوضه سوى مجرى مائى صاخب قد يحصلون منه على بعض الأملاك ، ولكنه فيما عدا ذلك ظاهرة طبيعية رهيبية .

فلما جاء الأوروبيون بحضارتهم المتقدمة أضافوا عنصراً بشرياً كان مفتقداً طول تاريخ النهر السابق . إذ كان لدى الوافدين الجدد سفن كبيرة عبرت بهم المحيط الأطلنطى من أوروبا ، ولذلك لم تكن الأنهار لتخيفهم . فلم يلبثوا أن أدركوا ما لنهر هدسون من مزايا طبيعية - من حيث الموقع وحمق المجرى ودوام جريان الماء فيه - فتحول حوضه إلى منطقة من أرقى مناطق العالم في الزراعة والصناعة والمواصلات .

ففي عام ١٦٠٩ كانت شركة الهند الشرقية الهولندية قد كلفت الملاح البريطاني هنري هدسون بالبحث عن طريق يوصل إلى الصين - سواء في الاتجاه الشمالي الشرقي أو الشمال الغربي . وبالفعل بدأ هدسون رحلته حول شمال سكنديناوه ثم شرقاً في « بحر بارنتس » ، ولكن الجليد حال دون تقدمه ، وكاد البحارة يتمردون عليه ، فما كان منه إلا أن غير اتجاهه وأقلع نحو العالم الجديد . وكان قد قرأ في بعض كتب الرحالة السابقين أن هناك طريقاً بحرياً ضيقاً ينفذ في الأرض من المحيط الأطلنطي بالقرب من خط عرض ٤٠° شمالاً . فلما وصل إلى خليج نيويورك الحالي (وكان فيرا تسانو قد كشفه من قبل) لم يتوقف ، بل استمر بسفينته في الجري المسائي الذي وجدته يمتد في الأرض ، ظناً منه أنه الطريق الملاحي الذي سيوصله إلى الصين . وبلغ في تقدمه موقع مدينة ألباني الحالية التي تبعد أكثر من ٢٠٠ كيلو متر من مصب النهر . وأدرك هدسون عندئذ أنه كان يصعد في نهر أن يحقق حله في الوصول إلى بحار الشرق ، ولكنّه أثبت في الوقت ذاته أن ذلك النهر يصلح للملاحة في جزء كبير من مجراه . وفي طريق عودته هدسون إلى هولندا التي كان يعمل لحسابها - توقف بسفينته في ميناء بريطاني ، فقبض عليه هو وبجارته ، ومنع من العمل في خدمة دولة كانت تنافس بريطانيا في استعمار العالم الجديد .

وقد ظل وادي هدسون تحت حكم الهولنديين حتى عام ١٦٢٥ ، وكانوا قد ألدأروا مدينة صغيرة عند مصب النهر أطلقوا عليها اسم « نيو أمستردام » ، ولكن البريطانيين غيروا هذا الاسم إلى « نيويورك » بعد أن هزموا الهولنديين وحلوا محلهم في تلك المستعمرة .

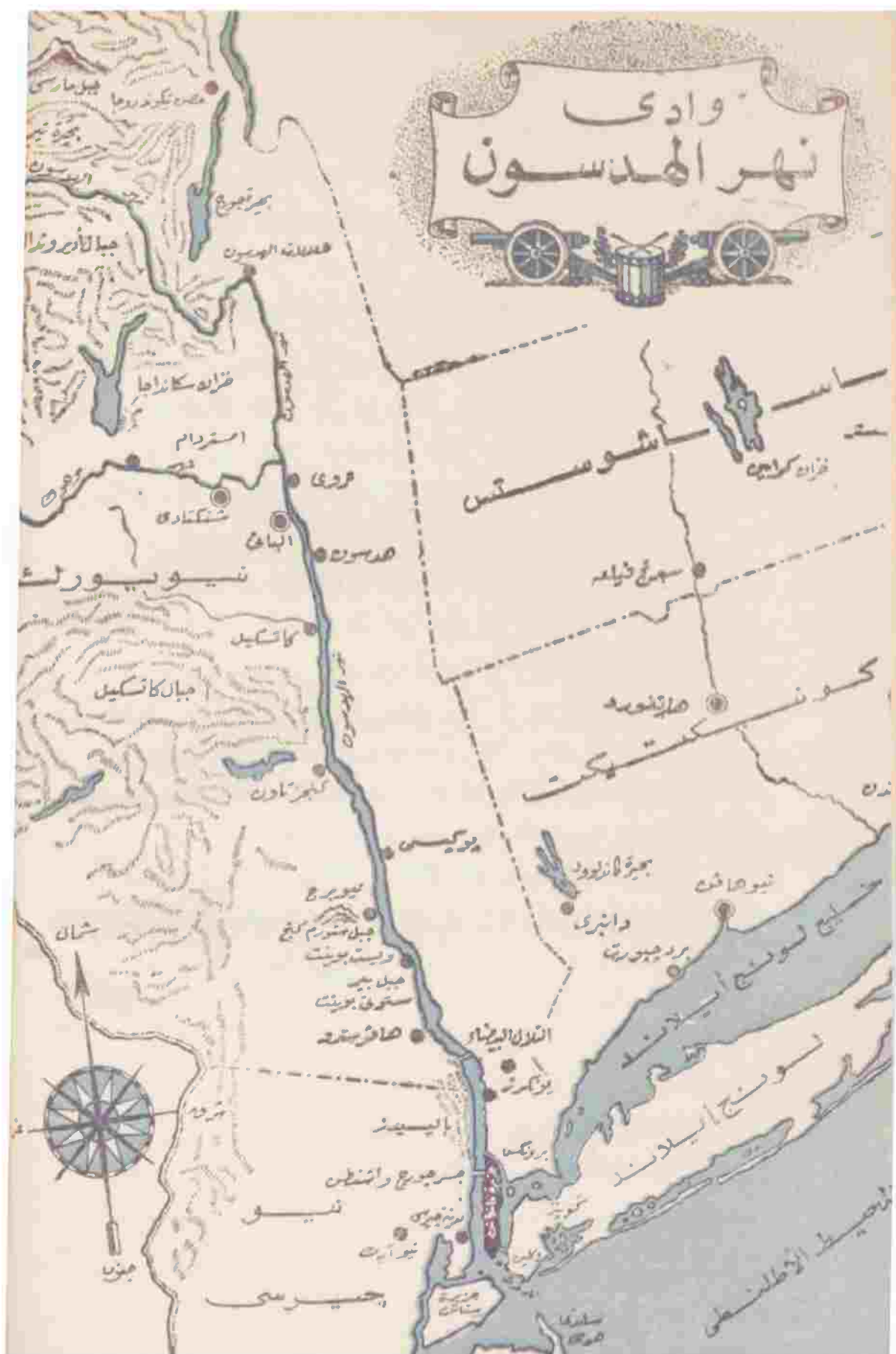
وكان من الجائز أن تظل المستعمرات البريطانية الأولى في شرق أمريكا الشمالية تابعة لبريطانيا حتى الوقت الحاضر - مثلاً في ذلك مثل يوفوندلند وكندا ، ولكن سياسة الحكومة البريطانية لإزاء المستوطنين - وخاصة فيما يتعلق بالضرائب - لم يراع فيها مصلحة هؤلاء السكان الذين أخذ تدميرهم يزداد حتى بلغ درجة التمرد في الربع الأخير من القرن الثامن عشر . ولما لم يد الإنجليز مروءة في معالجة ذلك

الموقف ، بل التجأوا إلى القوة لقمع المتمردين ، هب الأهالى ينادون بالانفصال عن بريطانيا ، ولشبت حرب الاستقلال الأمريكية التى كان بطلها جورج واشنطن والتى كان وادى نهر هدسون مسرحاً لمعظم أحداثها . ومن هنا كانت نظرة الأمريكين إلى وادى هذا النهر على أنه المساحة الصغيرة التى سيجل فيها مولد الولايات المتحدة الأمريكية والمهد الذى نشأت فيه قوميتهم .

والآن ، وبعد مرور أقل من قرن على استقلال الولايات المتحدة ، أصبح وادى ذلك النهر الصغير يضم نحو ٢٠ مليوناً من السكان ، وقام عند مصبه ميناء من أكبر موانئ العالم ، ارتفعت فيه المباني إلى علو شاهق ، لأن التوسع الأفقى كان محدداً بطبيعة جزيرة مانهاتن التى كانت نواة المدينة الأصلية ، فلم يكن هناك بد من التوسع الرأسى . وبعد ربط نهر هدسون بالبحيرات العظمى بواسطة قناة إيرى لم يعد النهر ذا أهمية محلية فقط ، بل أصبح ممراً مائياً يخدم مساحات أضخم بكثير من المساحات المحدودة لحوض نهر هدسون . كما اتخذ من واديه ووادى نهر موهوك طريقاً للسكك الحديدية التى تربط ميناء نيويورك بالبحيرات العظمى ، ومنها إلى السهول الفيحة فى حوض نهر المسيسيبى .

ويحكى هذا الكتاب القارئ الصغير قصة هذا النهر بما لسج حوله من أساطير وما سيجل على ضفافه من أحداث تاريخية ، كما يعطى صورة حية لمدينة ناطحات السحاب التى لا تبدأ الحركة فيها نهائياً أو ليلاً ، وهو بذلك إضافة قيمة تقدمها مؤسسة فرانكلين إلى مكتبة الناشئين فى سلسلة أشهر أنهار العالم ، التى تتفتح أذهانهم ، وتنمو معارفهم .

وادی
نهر الهندسون

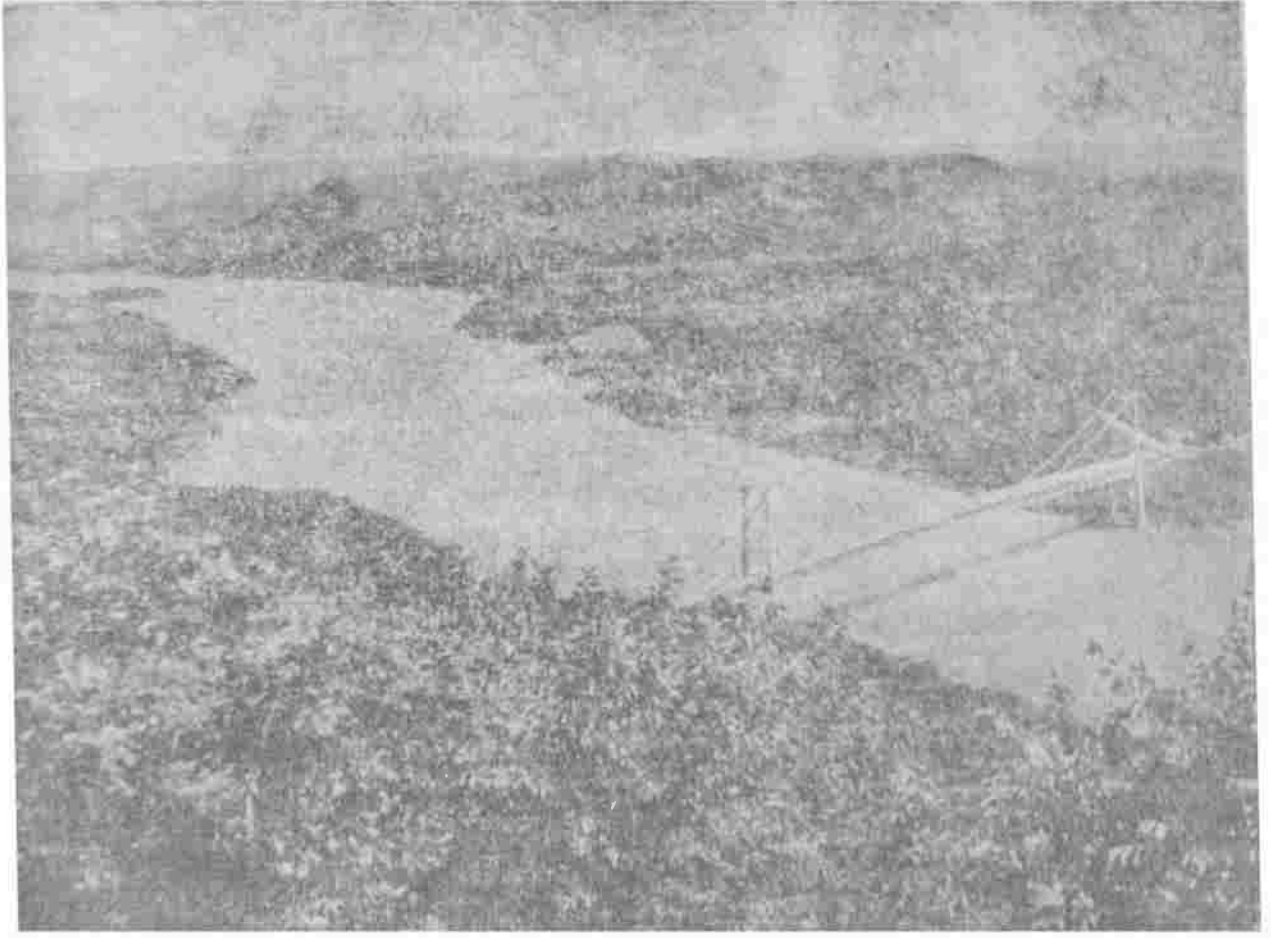


١ - النهر العظيم الذى يجرى فى اتجاهين

يشتهر نهر الهدسون بجمال شواطئه وبمجرأه القديم الذى يمتاز بالعمق الكبير . وهو يبدأ من بحيرة تيرأوف كلاودز Tear of the Clouds أى (دمعة السحب) فى منطقة جبال (أديرونداك) بولاية نيويورك ، ويبلغ طول جرى الهدسون ٣١٥ ميلا من منبعه حتى مصبه فى المحيط الأطلنطى . وتبدو بحيرة (تيرأوف كلاودز) كجوهره تتلألا على سفح جبل (مارسى) الذى كان هنود هذه المنطقة يطلقون عليه (مفرق السحب) .

وتتصل بالنهر روافد أخرى ، ويزداد حجمه ، وتكثر مياهه فوق الجنادل والشلالات التى تعترض طريقه ، وبعد ذلك يصبح المجرى الرئيسى لنهر هدسون .

وأكبر روافد نهر هدسون هو نهر (موهوك) الذى يتصل به من الغرب على مسافة بضعة أميال من شمال ألبانى - عاصمة ولاية نيويورك ، ويربط نهر موهوك وادى هدسون بإقليم فنجرليك فى قلب ولاية نيويورك .



من جبل بير ينمخرج النهر مخترقا الهايلاندز

ويتدفق نهر الهدسون صوب الجنوب شافاً طريقه بين ضفتين غير مرتفعتين ، ثم يسير بين تلال منخفضة حتى يبلغ مدينة ألباني ويتجاوزها . وهنا يقل اتساع النهر عن ربع ميل . ولكنه يكون من العمق بحيث يسمح لبعض عابرات المحيط أن تصل حتى هذه المنطقة .

ومن ألباني يأخذ النهر في التمرج بمنعطفات كبيرة تخترق جبال كاتسكيل ، حيث يطلق على وادي الهدسون اسم هايلاندز (الأراضي المرتفعة) . ويمتاز النهر في هذه المنطقة بالمناظر الخلابة ، إذ تراه يدور حول المنحنيات الحادة والرموس المدببة ، أو (الخطاطيف) كما كان يسميها الهولنديون ، وقد أطلقت على بعض

القمم المستديرة البارزة أسماء لها دلالاتها مثل (سنورم كينج) أى ملك المواصف ،
وهاى تاور ، أى القمة المرتفعة ، وبير أى الدب ودوندربرج أو جبل الرعد .

ويأخذ النهر فى الاتساع جنوبى الجبال حتى يبدو كأنه سلسلة من البحيرات ،
ويبلغ أكثر اتساع له فى منطقة تسمى خليج د هافرسترو ، حيث يبلغ عرضه ثلاثة
أميال وتكاد منطقة (تابان زى) ؛ (أى بحر تابان) التى تقع أسفلها مباشرة تبلغ
نفس الاتساع ، ثم يسير النهر جنوباً لمسافة تبلغ نحو ٢٠ ميلاً ، متجاوزاً جزيرة
مانهاتن فى الشرق ، وهى مدينة نيويورك الآن . أما فى الغرب فيلامس النهر
شواطئ نيوجرسى حيث تخف بمجرأه أجراف مرتفعة تسمى (باليسيدز)
ويعرف المهندسون هنا باسم « نورث ريفر » ، ويصبح جزءاً من ميناء مدينة
نيويورك .

وتوجد تحت سطح النهر هوة كبيرة تزداد عمقاً كلما اقتربنا من المحيط
الاطلنطى ، وقد حدث هذا ، وكان ذوبان آخر غطاء جليدى فى عصر الجلايد هو
السبب فى تكوين هذا الوادى العميق تحت مياه المهندسون ، وفى المسافة من المحيط
الاطلنطى إلى مدينة ألبانى يهبط قاع هذا الوادى إلى ما دون مستوى سطح البحر ،
وهذا يسمح لمياه المحيط الملحة بالمد والجزر إلى مسافة تبلغ ١٥٠ ميلاً صعوداً
فى النهر .

ويتصل نهر المهندسون بنهر (إيست) وهدة نهراى أخرى عند الجزء الجنوبى
من جزيرة مانهاتن لتكوين خليج نيويورك الأعلى ، ويبلغ اتساع هذا الخليج
نحو ثلاثة أميال ، ثم يسير النهر غزراً بحراً عميقاً يسمى (ناروز) أى الممرات
الضيقة ، ويقع بين لونغ آيلاند وجزيرة (ستاتن) ، وبعد « الناروز » يقع الخليج
الاسفل ثم المحيط الاطلنطى .

ويمتد هذا الغور الشديد العمق في المحيط على شكل واد كبير له قاع منبسط عمق ٣٠ قدما من السطح بأخذ في العمق بالتدريج حتى يصل إلى ٣٦٠٠ قدم تحت مياه المحيط ، وحتى بعد هذه المنطفة يهبط مجرى النهر موطاً آخر أطلق عليه اسم «شلالات المحيط» ، وهنا يصل عمق قاع الغور إلى ٧٥٠٠ قدم تحت سطح مياه المحيط .

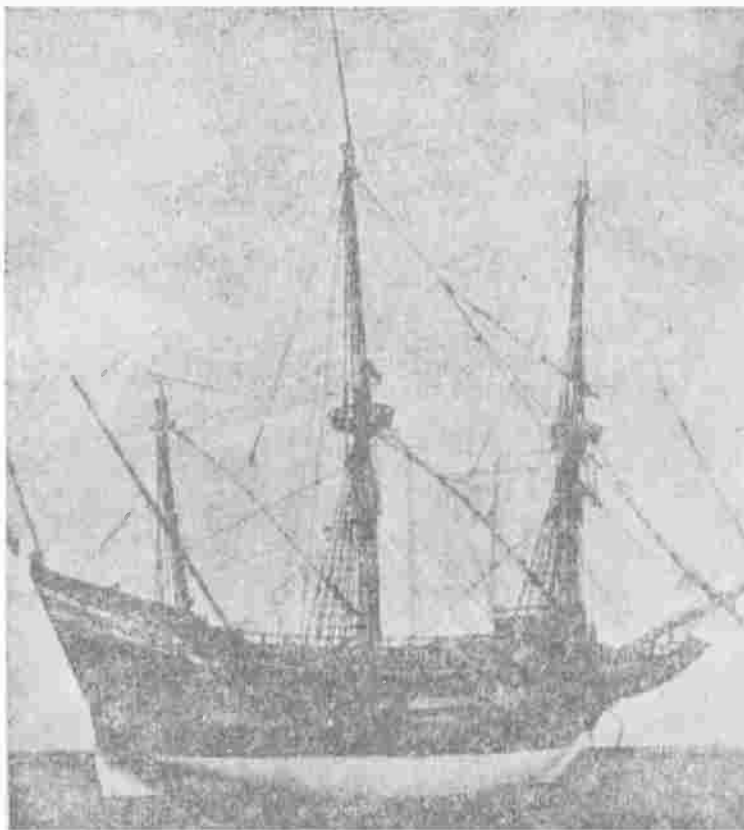
كان نهر الهندسون وواديه - قبل مجيء الرجل الأبيض - ملكا لقبائل مختلفة من الهنود الحمر. فألى الشمال من جبال كانسكيل كانت تعيش قبائل الإيروكوا على صيد الحيوان في الأراضي التي تحتلها ، أما إلى الجنوب من الهابلاندر ، فإن عددا من القبائل كانوا يشيدون أكواخهم من الحشائش ولحاء الشجر ، وكان بعضهم





تخت جبال البلیدر مسافت ۲۰ میلای شاطی - ریو جیو سو

بتكلم اللغة الإلجونسكية ومنهم الديلاويرز، الذين كانوا يصطادون في غابات ذات أشجار ضخمة . وفي فصل الربيع كانوا يصطادون أسماك الصابوغة ، ويسبحون في النهر مثل القضاة أو ثعالب الماء ، كما كانوا يعبرون النهر بخفة من ضفة إلى أخرى في قواربهم المتحونة من جذوع الأشجار . أو يعبرونه مشياً فوق الجليد في فصل الشتاء . وكانت جماعة الماناهاتا على الشاطئ الشرقي ، وجماعة لينى لينابى (وهى فرع من الديلاويرز) على الجانب الغربى ، يميلون عادة إلى المسالمة . والاسم الذى يطلق على مانهاتن ، أو جزير مانهاتن - أو ماناهاتا - يعنى (أرض الجمال) ، ولما كانت مياه المد المملحة تتوغل مسافة كبيرة في مجرى النهر ، فقد أطلق الهنود على نهر الهدسون اسم : « النهر العظيم الذى يجرى في اتجاهين » .



(نموذج السفينة هاف مون)

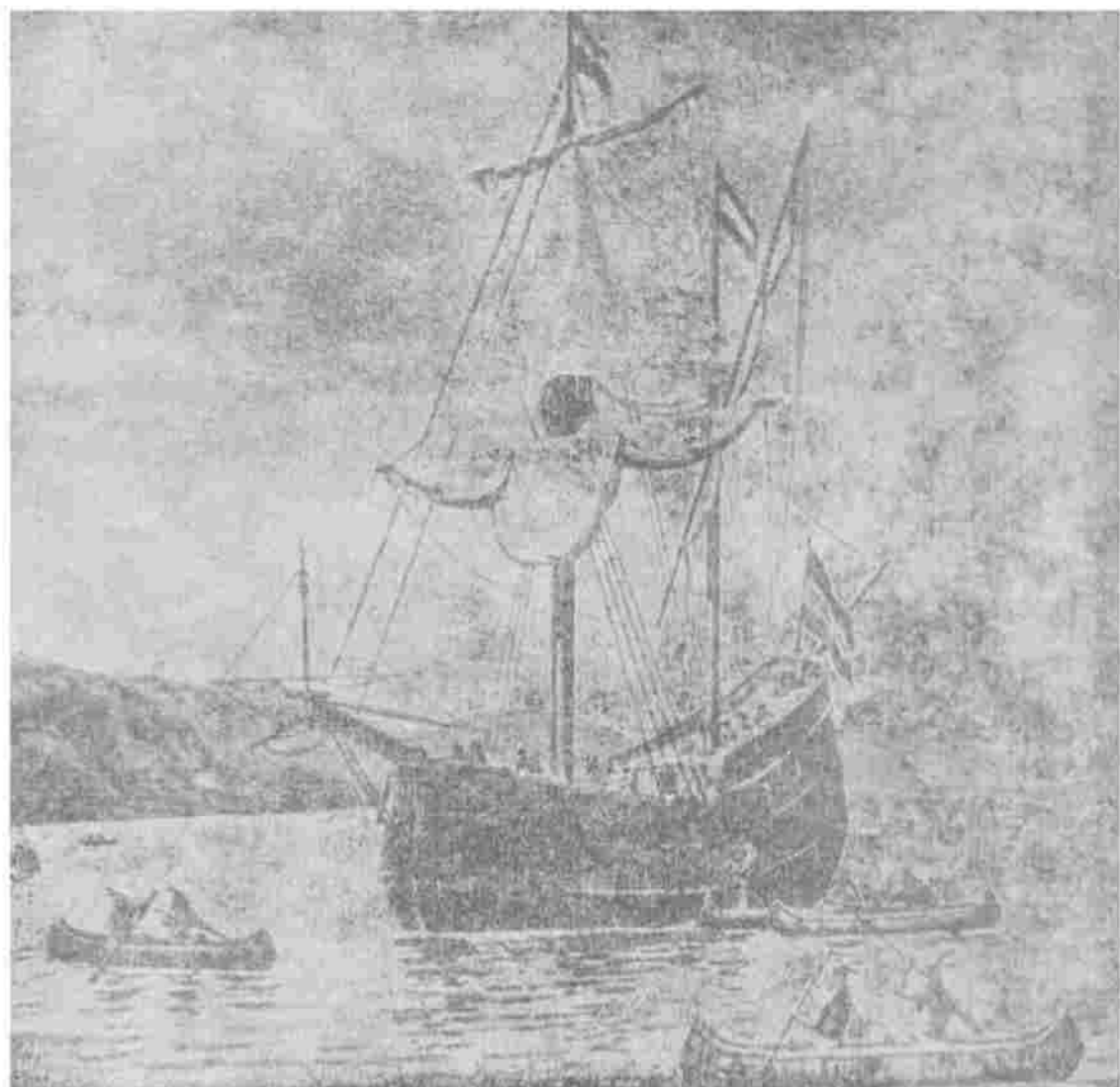
وقد شهد عام ١٥٢٤ وصول أول جماعة من الرجال البيض إلى ذلك النهر الذي يجري في اتجاهين ، وكانوا بقيادة « جيوفاني دافراتسانو » ، ولكنهم لم يتجاوزوا مصب النهر .

وفي عام ١٦٠٩ أبحر الربان الانجليزي هنري هيدسون صوب الغرب باحثاً عن طريق يوصله إلى الصين على سفينته الصغيرة (هاف مون) ، فدخل نهراً أطلق عليه اسم (نهر الجبال العظيم) . وكانت سفينة هنري هيدسون متينة رغم صغور حجمها ، تعمل لحساب شركة الهند الشرقية الهولندية .

وبحارته خليط من الانجليز والهولنديين ، وقد أثارت شواطئ النهر إعجاب القبطان هيدسون ، وكذلك تلك الجزر الكثيرة التي شاهدها في المرفأ ، والتي يطلق عليها الآن ، جزيرة ستاتن ، وجزيرة جافرتاوتز ، وجزيرة أليس ، وجزيرة بدلويز أو جزيرة الحرية .

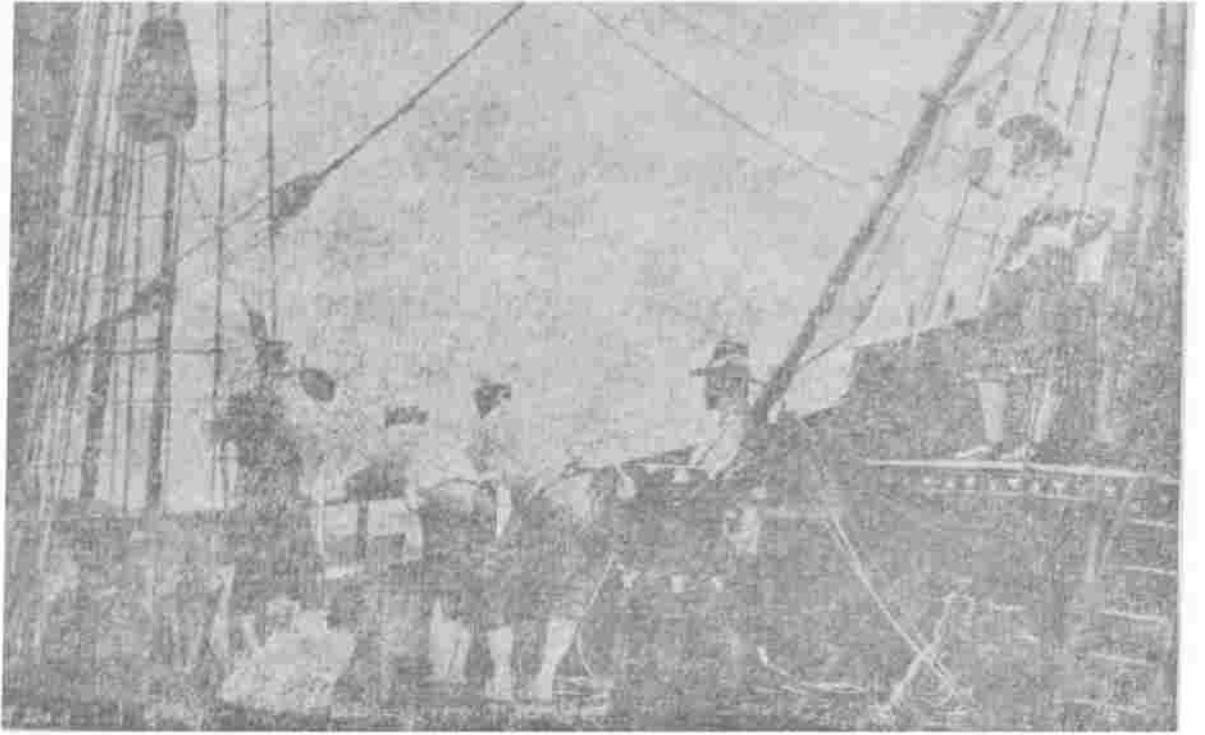
وما إن ألقت « الهاف مون » بمراسيها قرب جزيرة الماناهاتا حتى جدف إليها بعض الهنود الذين كانوا يرتدون ملابس من جلود الأيائل الناعمة ، ووقفوا في قواربهم تحت مقدم السفينة المرتفع ليقدموا هدايا من الفواكه والذرة ولحوم الصيد . ورحب بهم القبطان هيدسون على ظهر السفينة وقدم لهم بدوره بعض الهدايا الصغيرة . وبعد ذلك نزل إلى الشاطئ حيث حضر ولية أعدت خصيصاً له ، وكتب في سجل السفينة : « إن الأهالي السمر وقفوا يغنون بطريقتهم بين أشجار البلوط » .

وعندما أبحروا صاعدين في النهر دخلت « الهاف مون » في إقليم الهايلاندز ووصلت تقريباً إلى حيث تقع مدينة ألباني عاصمة ولاية نيويورك حالياً ، وهنا أدرك هيدسون أنه لم يعثر على الطريق إلى الشرق ، فأدار مقدمة سفينته الصغيرة وعاد أدراجه نازلاً في النهر .



يبين هذا الرسم القديم الهنود عندما خرجوا في النهر ليقابلوا الهاف مون ،

وبينما كانت السفينة راسية ذات ليلة - اقترب أحد الهنود بقاربته من السفينة
ونفذ إليها من خلال إحدى الكوات - وبعد قليل عاد ثانية إلى قاربته حاملا عدة
أشياء قام بسرقتها - وشمر أحد البحارة بحركة ما ، فأطلق بندقيته فسقط الهندي
من قاربته في الماء .



يضم معرض مدينة نيويورك هذا النموذج الذي يبين د الهاف مون ،
عندما جاءت لميناء نيويورك عام ١٦٠٩

وأضنى البحارة الليل بطوله وهم يراقبون وأيديهم مستعدة على السلاح ، وما
لأن أشرقت الشمس في صباح يوم جميل من أيام شهر أكتوبر حتى حاصر الهنود
السفينة بقوارب الحرب وأخذوا يطلقون السهام من قواربهم التي يوجهها براعة
جماعة من المحاربين الذين طلوا أجسامهم بألوان الحرب . وقد قتل بعض البحارة
في أثناء إطلاقهم النار من بنادقهم على القوارب التي كانت تسير بسرعة
وحذق ، مما كان من القبطان كابتن هيدسون إلا أن أفلح بالسفينة على الفور .
وبينما كانت السفينة د هاف مون ، تدور في منطفق النار مرت تحت جرف بارز
فوق المجرى كان يقف عليه نحو المائة من المحاربين الهنود الذين أطلقواوا إلا من

السفينة ، ووصلت دالهاف مون ، إلى المرفأ بعد أن التزمت السير في
وسط المجرى تماماً ثم خرجت إلى عرض البحر ، وأخيراً رست في ميناء آمن بهولندا .
أعلنت الشركة الهولندية أن اكتشاف هدرسون يعتبر من ممتلكاتها ، لأنه كان يعمل
لحسابها ، ولم يقدر له نرى هدرسون أن يعود مرة أخرى إلى نهره العظيم . ولكن
بعد مرور بضعة سنوات أطلق الانجليز اسمه على هذا النهر ، وبالطبع لم يكن
القبطان هدرسون يحمل يوماً ما بأن تقام أغنى مدينة في العالم على نهر يحمل اسمه .

٢ - تحت سيطرة الهولنديين

ظل النهر الذي يمر في اتجاهين ملكا للهنود الحر لا ينازعهم فيه أحد لمدة خمس عشرة سنة بعد توارى السفينة هاف مون تحت الأفق الشرقى ، وفى خلال هذه السنوات أبحر بعض الغرباء الشاحبي اللون صاعدين فى النهر ، وشيدوا حصنا صغيراً من الكتل الخشبية للتجارة فى الفراء ، وأطلقوا عليه اسم حصن (ناساو) غير أنهم تركوا الحصن خلفهم وأقلعوا عبر المحيط بعد فترة وجيزة .

وفى أحد أيام عام ١٦٢٣ ، شاهد الهنود سفينة أخرى فى النهر راسية بالقرب من جزيرة الماناهااتا الخضراء ، وعلى ظهر تلك السفينة (هولندا الجديدة) تراحم الرجال والنساء والأطفال حول حاجز السفينة وقد بهرهم جمال الهياكل ، وكانوا يتحدثون بحماسة باللغة الفرنسية ، إذ أنهم كانوا من جماعة الوالون البروتستانت الذين فروا من الأراضى المنخفضة الإسبانية هرباً من الاضطهاد بسبب مذهبهم الدينى .

وقد أطلقت كل جماعة من المستوطنين الجدد اسماً مختلفاً على النهر . إذ أسماه
الوالون (نهر موريتيوس) تخليداً لذكرى قائدهم موريس أميه أورانج ، كما
رحل بعض الفلاحين إلى الشمال حيث « النهر العذب » الذي سمي فيما بعد باسم
(كونيكتيك) . واتجهت فئة أخرى جنوباً إلى نهر ديلابر ، ولم يستوطن
في جزيرة مانهاتن عند مصب النهر سوى عدد قليل .

وأبحرت السفينة « هولندا الجديدة » محترقة مدينة الهابلاتز وهي تحمل
ثمانى عشرة أسرة ، حتى بلغت أطلال حصن (ناساو) وبعد أن تجاوزوه بيضعة
أميال نزلوا إلى الشاطئ على الضفة الغربية وشيدوا حصن أورانج على قمة تل
قريب من النهر .

وعلى الرغم من خصب الأرض فإن الزراعة لم تصادف نجاحاً كبيراً هناك ،
ووجد الوالون أنهم لو اتجروا مع الهنود لكان ذلك أيسر لهم وأكثر ربحاً ؛
إذ أنهم يستطيعون شراء الفراء الثينة ببضع حلل رخيصة .

وخلال السنوات القليلة التالية انضم إلى الوالون في حصن أورانج وفي جزيرة
مانهاتن كثير من المهاجرين الجدد من هولندا وفرنسا وإنجلترا وإيرلندا
وسكوتلاند وألمانيا .

وعلى الرغم من أن الحكومة الهولندية كانت في حاجة ماسة إلى الفلاحين في
وادي النهر ، لفلاحة الوادي ، إلا أن هؤلاء كانوا بمجرد وصولهم يعزفون عن
العمل الشاق في فلاحة الأرض ويشرعون في الاتجار في جلود الثعالب والسمور .
ولتفجيع الزراعة ثم استحضار كثير من الحيوانات المستأنسة في ثلاث سفن
كانت تسمى (هورس) ، أى الحصان ، وتشيب (أى الغنم) ، و (كار) أى
البقرة . ولكن المستوطنين لم يبالوا بذلك .

وبعد سنوات قليلة ارتفعت قيمة جلود السمور إلى حد أنه استخدم كعملة ،
فكانت قيمة البضائع تقدر بما تساويه من جلود السمور .

غير أن الحكومة الهولندية كانت تريد الاحتفاظ بهذه الأراضي ، فلكي تشجع الزراعة قامت بمنح إقطاعيات من الأرض في وادي الهدسون لبعض الهولنديين الأثرياء ، وأطلق على المالك منهم اسم (باترون) ، واستطاع هؤلاء أن يحضروا مستأجرين لا تسمح لهم مواردكم بشراء أرض ليمشوا هناك ويقوموا بفلاحة تلك الضياع في مقابل إيجار يدفعونه للملاك - وكان ذلك الإيجار يستنفد جزءاً كبيراً من الحبوب والمحصولات الأخرى ، علاوة على جميع النتائج الحيوانية الجديدة وترك حكم تلك المساحات الشاسعة إلى تلك الحفنة من الهولنديين الأثرياء .

وكان هناك باترون يدعى « كيلين فان رلسيلير » من كبار تجار المجوهرات في هولندا ، غير أنه لم يحضر بنفسه إلى أمريكا ، بل أرسل مديراً لمباشرة إقطاعه الضخم الذي كان يمتد على جانبي نهر الهدسون بالقرب من حصن أورانج الذي هو الآن مدينة ألباني ، ثم جاء أولاد فان رلسيلير ليستقروا على ضفاف الهدسون ، وكانوا يحكمون كالمملوك لا يجرؤ أحد على معارضتهم وكان مقرهم في قصر منيف أطلقوا عليه اسم « رلسيلير زوبك » .

واستمر نظام «الباترون» سارياً طوال قرنين في وادي نهر هدسون ، بما أدى إلى ثراء الملاك والإبقاء على المستأجرين من الفلاحين فيما كانوا عليه من فقر . وفي عام ١٦٢٦ جاء من هولندا (بيترمينويت) ليكون أول مدير عام لمستعمرة (هولندا الجديدة) ، وكانت « نيواستردام » البلدة الوحيدة ذات الأهمية في المستعمرة ، ولحماية مساكنها الضيقة وحدائقها وطواحينها أقيم حصن خشبي على قمة تل وشيد حائط من كتل خشبية رأسية على طول الطرف الشمالي للبلدة ، وفيما وراء ذلك كانت توجد المزارع التي اقتطعت من الغابة .

وفي أحد الأيام قام (بيترمينويت) بدعوة زعماء الجماعات الهندية الصغيرة ، التي كانت تتجول في الجزيرة بحرية تامة ، وكان اجتماعهم تحت إحدى الأشجار الكبيرة ، وفيه توصلوا إلى اتفاق مع (مينويت) ، سجل في أقدم مخطوط يروى تاريخ « نيواستردام » .



(يبين هذا النموذج بيترمينويت وهو يتساوم مع الهنود)

وفي هذا الاجتماع وقف أكبر الزعماء بطايات بمقوق مواطنيه وقال : « لقد تشاورنا وقررنا أن نقبل هداياكم وندعكم نطعمون في جزيرة الماناهاانا ، وسنتجول في الجزيرة كما نشاء ونقيم ، على أننا سنتنمر في تجوالنا ذهاباً وجيئة ، وفي إقامة أكواخنا ، وفي ممارسة الصيد كما اعتدنا أن نفعل دائماً . »

ثم وقف المدير العام بملابسه الهولندية المازركشة وحلية خداته الفضية تلعب تحت أشعة الشمس ، وتكلم مخاطباً الزعماء ومحاربيهم ، ثم أمر بمنحهم الهدايا لإدخال الهدية في نفوسهم ؛ وكانت تتكون من السكاكين والأواني المعدنية والخرز والملابس بمما قيمته ، بقون جيلندرا هولندياً أى حوالى أربعة وعشرين دولاراً .

وبالذات بلدة «نيوآمستردام» الهولندية الصغيرة أن نمت بسرعة على جزيرة
مانهاتن ، فاستقر بها التجار الهولنديون مع زوجاتهم الممثلةات وأولادهم وبناتهم ،
وتحت الأسقف المثمنة لبيوتهم المبنية من الأحجار كانوا يتمتعون بحياة مريحة ،
وقد توافر لهم الكثير من الطعام والشراب ، وكانت الزوجات يقضين نهارهن
في التنظيف وإعداد الطعام والثرثرة مع جاراتهن . وفي نهاية اليوم يعودن أزواجهن
جماعات إلى منازلهم حيث يأخذون في تدخين غلايتهم الطويلة .

وفي القرن السابع عشر لم تكن نيوآمستردام مدينة هولندية خالصة ، فقد كان
التجار يأتون من «نيوإنجلند» إلى نهر الهudson ثم يعودون ، كما كانت السفن



يبين هذا النموذج في المنحرف أول طريق مرصوف في مدينة نيوآمستردام عام ١٦٥٩

تأتى من أماكن أخرى من العالم أيضاً ، وكان البحارة من بلاد كثيرة ينزلون إلى الشاطئ لشراء وبيع البضائع من كل لون ، وكثير من هذه الأشياء كان يتم تهريبها إلى داخل البلاد تحت أعين المفتشين أنفسهم ، وكان التجار الهولنديون يتعاملون مع المهربين .

ونظراً لانعدام وسائل الترفيه كان المستوطنون يتسلون بالدعابات العميلة بعضهم على بعض ، ففي إحدى الليالي اقرب نافخ البوق في المدينة (أنتوني فان كورايير) من أذن أحد أصدقائه ثم نفخ في بوقه نفخة قوية ، وقد شهد أنتوني لمدة أيام بعد ذلك ، وقد أحاطت بعينه حالة زرقاء ، وظهرت بعض الكدمات في وجهه ، وكان أكثر ما يؤله تلك الضحكات الساخرة التي كانت تتابعه أينما ظهر .

وقد اتصف هؤلاء الهولنديون بحبهم للأعراك ، وكثيراً ما كانوا يذهبون إلى المحكمة بتهمة المشاكسة ويشكون أصدقاءهم إذا بدت منهم أية مضايقة ، وبلغ بهم الأمر أنهم كانوا يوبخون رجال الدين عند إلقاءهم مواظع عن النار وجهنم ، فمتدما هاجم (دوميني) رجال البلدة بسبب خطاياهم كان ردم عليه أن قرعوا جميع الأجراس في البلدة ، وأرسلوا فرقة موسيقية لتعزف أمام الكنيسة بأعلى ما يمكنها ليطغى ضجيجها على مواظع دوميني .

وفي السنوات التي أعقبت اتفاق (مينوييت) مع الهنود قام بعض المزارعين الهولنديين المستقلين باستقطاع أراض لهم عبر النهر في (نوفاسيزاريا) ، وهي (نيوجيرسى) حالياً ، فظهروا حقولهم ، وشيدوا المنازل والمخازن من الحجر الأحمر ، وفي الشمال من جزيرة مانهاتان على الضفة الشرقية استقر عدد آخر من الباترون ، استولوا على أرض أكثر مما يحق لهم ، ولكن الحكام الذين جاءوا بعد مينوييت لم يحاولوا منعهم من ذلك .

وفي عام ١٦٤٦ أصبح (بيتر ستوفيسانت) مديراً عاماً ، أوحا كما لهولندا الجديدة، وبمجرد وصوله علم أن مدير إقطاعية (فان راسيلير) - ويدعى كرول - يضم خاسة أراضى تابعة للمستعمرة ، وكان المستأجرون من المزارعين يسمونه اللص الرمادى العجوز ، وكان ستوفيسانت مبعوثاً من قبل شركة الهند الغربية الهولندية التى تتولى شئون المستعمرة ، ولما كان ستوفيسانت رجلاً أميناً فقد قرر أن يوقف كرول عند حده ، وعلى الرغم من ساقه الخشبية ، فقد صعد إلى إحدى السفن التى ستبحر فى النهر ومن خلفه مجموعة كبيرة من الجنود ، واتجهوا صوب الشمال ينفذون اللص الرمادى العجوز .

وعندما وصلت السفينة إلى حصن أورانج تمكن ستوفيسانت من رؤية الحصن الخشبي وقد رفع فوقه علم المستعمرة ، ولكن كرول كان قد شيد مباني كثيرة لفان راسيلير خارج أسوار الحصن ، فاشتعل ستوفيسانت غضباً وقفز من السفينة إلى قارب صغير ، وما إن وصل إلى الشاطئ وجنوده فى أعقابهِ حتى صاح فيهم : « أنزلوا هذا العلم ، وتجهم اللص الرمادى العجوز » ولكنه لم يكن ليحرق على مقاومة الحاكم - ثم قام بيتر ذو الساق الخشبية بتحديد أرض الشركة وأطلق عليها «بيفرويك» ، وأقام حكومة هناك اكبح أطماع البائرون والتصدى لمساغبات سكان الحدود .

* * *

وظلت مئات من الأشرعة البيضاء تتألق على مياه الهدسون لعدة سنوات لا يعطّلها سوى الجليد والثلوج فى الشتاء ، وعندئذ تلوذ بالاحواض الشتوية ، وكانت تلك السفن ذات الشراع الواحد تدهن بالألوان الحمراء والزرقاء والصفراء الزاهية ، وقد صممت خصيصاً للملاحة فى هذا النهر .

وكان طولها يبلغ عادة حوالى سبعين قدما ، ولها مقدمه مستديرة مرتفعة ،
وكانت ساريها الشائعة توحى بأن السفينة ممتلئة التوازن ، ومع ذلك فقد كانت
تلك السفن الهولندية مناسبة جدا للملاحة فى هذا النهر العميق الكثير الانحناءات
الذى تهب عليه رياح مختلفة الاتجاهات .

وكان قباطنة هذه السفن من الهولنديين الذين يعرفون كل صغيرة وكبيرة
فى مجرى النهر ، وجميع أنواع الرياح التى تهب عليه ، وكيفية تأثيره بالماء والجزر .

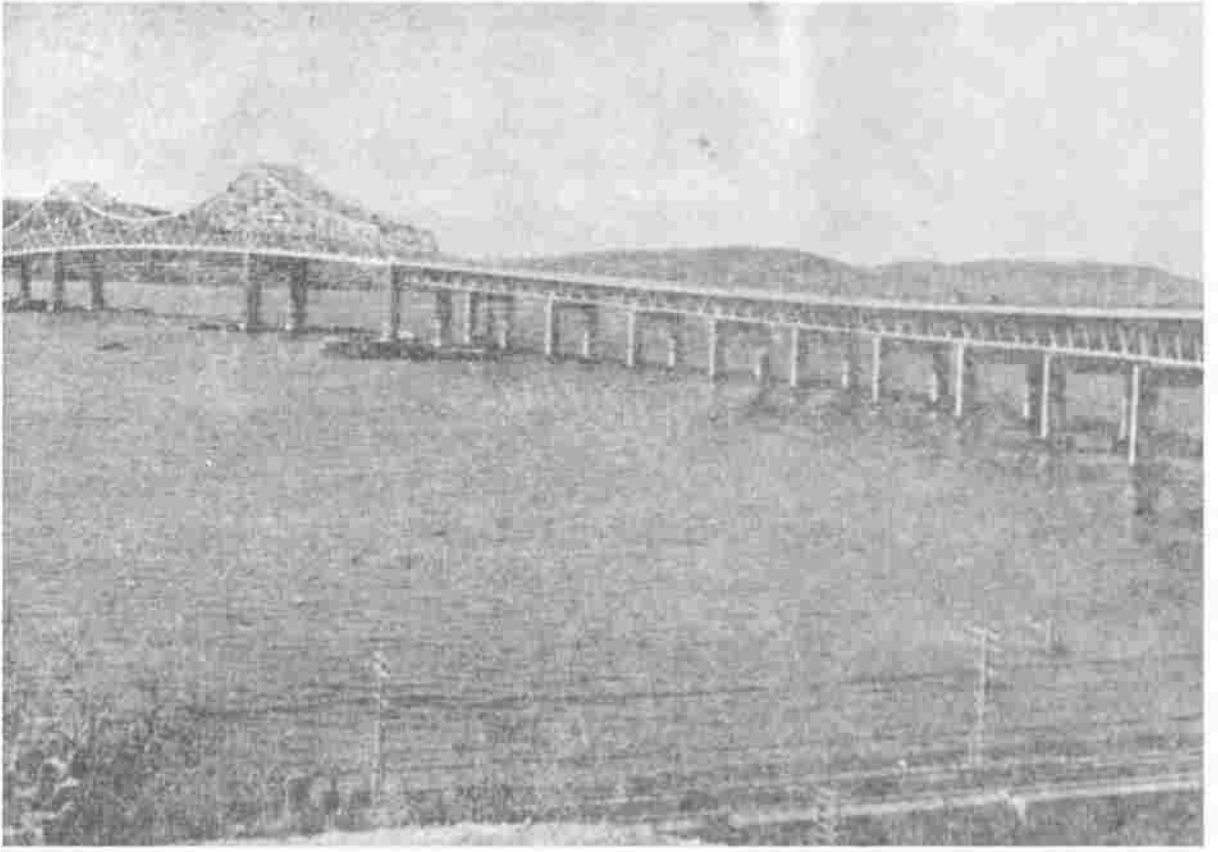
وكان البحارة يتكلمون عدة لغات ، إلا أن اللغة الهولندية كانت الأكثر
استخداما ، وكانت بعض السفن تستخدم ملاحين من العبيد السود أحيانا ، ومع
ذلك فقد كانوا يتكلمون اللغة الهولندية .

وعندما يصعد أحد التجار فى نيو أمستردام إلى ظهر السفينة فإنه يجد نفسه
للقيام برحلة طويلة فى النهر ، فيأتى أصدقاؤه لتوديعه كما لو كان سيعبر
المحيط الاطلنطى .

وكان الركاب يستمتعون بالقصص التى يرويها القبطان : إذ كان بمقدور
قبطان السفينة الهولندى أن يسرد قصصا خيالية ممتعة حول كل ما يحيط بجزيرة
مانهاتان ومجرى النهر من شواهد أرضية ، كما يمكنه أن يصف الجان والعفاريت
الخاصة بالوادی وصفا يجعلها تبدو حية كالبحارة أنفسهم .

سيدى . . هل تعرف بوابة الجحيم ؟ حيث تغلى مياه نهر ايسست على الصخور
حذار ياسيدى أن تبصر فوق هذه المياه فى الليالى المظلمة ، أو عندما تهب رياح





يبلغ عرض النهر عند جسر تابان زى حوالى ثلاثة أميال

عاصفة . لا تفعل ذلك أبدا ياسيدى . لأنك إن فعلت ذلك فسوف يصدحك شيخ
القرصان الأسود بسفينته . وهو القرصان الذى قتله بيتر ذو الرجل الخشبية .
إنهر هرسون أكثر أمانا ياسيدى . فعلى شواطئ جزيرة مانهاين فى ليلة عاصفة
كثيرا ما يسمع ذلك الشبح وهو يجدف بجاذيف مكتومة الصوت .

وعندما يقطع قبطان بسفينته فى مياه تابان زى المنسعة كثيرا ما كان يتملكه
الخوف من مشاهدة سفينة الشبح . وكانت تروى قصص عديدة عن سفينة
المواصف بمنطقة نلال (باليسيدز) ، ويقال إنها كانت أحيانا تنقل بين ضفة
وأخرى وكأنها طيف أو ضباب رمادى ، وكانت مشاهدتها تدل القبطان على أن
عاصفة هوجاء سوف تهب قبل بزوغ الصباح .

وكانت السفن في صعودها في نهر الهدسون تمر بمنطقتي (التونيزنوز) و د ستورم كينج ماونتين ، وكان هذا هو إقليم تلك الأقزام المسحورة الصغيرة التي تقطن الهايلاندز . وكان الملاحون يعتقدون أنهم يرتدون سراويل هولندية فضفاضة ، وصديريات جلدية ، وقبعات عالية . وكان هؤلاء الأقزام - كما تروى الأساطير - مغرمين بلعبة القناتي الخشبية ، فإذا ما وجهوا الكرة إلى تلك القناتي وأخذت في التساقط فإن الرعد يزجر فوق مجرى النهر .

وعندما كانت سفينة من السفن تعبر المنحنى أسفل جبل د دوندبرج ، فإن ربانها كان يصدر أمرا بخفض الشراع الأكبر . فإذا كان هذا الموقع هو موطن عفريت يسمى (هير) (أى السيد) ، وكان بمقدور هذا العفريت أن يثير عاصفة تفرق السفينة التي لا تحميه باحترام .

ويقول بعض الذين ادعوا أنهم شاهدوه إنه يرتدى قبة في شكل قمع السكر . وكان عندما يصبح بالهولندية في بوقه يتردد الرعد بين جوانب الجبل ويومض البرق بين ضفتي النهر .

وأبضا إذا ما أبحرت سفينة نحو قرية تسبكل كان بإمكان الركاب أن يشاهدوا الجبال التي ترتفع خلفها . وهناك استغرق دريب فان وبسكل ، في النوم وبجانبه كلبه الجائع ، وعندما استيقظ أخذ يلعب بالكرة مع أقزام الهايلاندز . وهناك على ذلك الطريق الملتوى الذي ينحدر إلى القرية يكاد المرء يرى دريب المعجوز ، وقد ظهر مرة أخرى بعد مرور جيل في نهاية غنوته الطويلة .

كما كانت هناك في ميناء نيو أمستردام بعض السفن الأخرى الأقل بها ، وهي سفن المهربين الذين يجيئون بالبضائع من كل مكان في العالم ، وكانوا يرفضون دفع الضرائب الحكومية على البضائع ، وكثيراً ما كانت ترسل حملات من الضباط المسلحين للقبض على سفن المهربين ، ولكن هؤلاء كانوا ينجحون دائماً في الإفلات ببراعة ، وكانوا يخفون بضائعهم الثمينة في أماكن خفية على الشاطئ .



عفريت جبل دوندو برج

فتأتى قوارب صغيرة وتلتقطها وتقوم بتوصيلها الى المدينة بعد حلول الظلام ،
ولذا كان بالإمكان أن يشتري المرء في نيو أمستردام أى شئ من الفراء والجواهر
والأقمشة الصوفية الجيدة ، أو التوابل والأشاي . وذلك كله من المهربات التي
يجلبها هؤلاء البحارة الشياطين .

وفي بعض الأحيان كانت الشركة التي تدير المستعمرة تقوم نفسها ببعض
عمليات التهريب ، فقد كانت تستبدل بالفراء بعض البضائع الواردة من الخارج
وكانت فراء القندس أكثرها ربحاً .

وفي فصل الصيف ، كان من المألوف لسكان القرى في وادي النهر أن يشاهدوا
الهنود وهم يقايضون الفراء بالبضائع ، وكثيراً ما كان هؤلاء الهنود يقدمون
جلود القندس في مقابل بعض الفطائر والكعك الهولندي ، وكان الهنود يبيعون
غراما بهذا الكعك لدرجة أنه لفترة معينة سدت قوافلهم بيعه للدحاريين
من الهنود الحمر ولذئبتهم ، لأن وجود عدد كبير منهم في البلدة كان يهدد خطراً
على سكانها .

وكانت العقود المصنوعة من الصدف تستخدم كعملة لدى جميع القبائل الهندية ،
غير أن الهنود لم يستطيعوا في وقت ما أن يصنعوا ما يكفيهم منها ، فما كان من
الهولنديين إلا أن شرعوا في حمل هذه العقود من أهداف أرجوانية وبيضاء .
ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت مئات المنازل الريفية في القرى والمزارع على
طول مجرى النهر تسمى « حوانيت العقود الصدفية » وأتقنت النساء والأطفال
صناعتها كما كان يتقنها الرجال .

وكان الهنود على امتداد وادي نهر الهندسون - قوما مسالمين ، إلا إذا وقعوا
فريسة للغش ، أو عوملوا بقسوة ، فعندئذ كانوا يشنون الحرب فيحرقون المزارع
ويقتلون المستوطنين ، وبعد سنوات عدة اضطر الهنود في الجزء الأدنى من وادي
النهر إلى الانتقال إلى بعض الغابات والأنهار البعيدة ، وعندما انتهى الحكم
الهولندي لم يكن قد تبقى منهم سوى جماعة الايروكوا ، وكانوا شديدي البأس ،
وما زالوا يعتقدون أن بمقدورهم الاحتفاظ بمناطق صيدهم بقوة السلاح .

٣ - الملك يهرب النهر

وقف بيتر ستوفيسانت مثبتاً ساقه الخشبية فوق سطح الحصن المشرف على نيو أمستردام ، وشاهد من خلال منظاره المكبر الاسطول البريطاني رابضاً على بعد في الميناء .

ففي عام ١٦٦٤ ألقي الاسد البريطاني بكفه على مستعمرة بيتر ستوفيسانت ؛ فقد كان شارل الثاني ملك بريطانيا قد قرر أن تملك المستعمرة الهولندية ملك له ، وأنه منحها لاختيه جيمس دوق يورك ، وظل رجال ستوفيسانت طوال الصباح ينصتون إلى ساق بيتر الخشبية وهو يذرع سطح الحصن جيئةً وذهاباً ، وعندما سمعوا وقع خطواته ، وهو يهبط درجات السلم ، كان لسلك دقة منها رنين حزن ، وأدرك الجنود ما وراء ذلك .

كانت كونيكتيكت قد سقطت في أيدي هؤلاء «اليانكي» الذين يتكلمون الإنجليزية ، وفي اليوم التالي وصل الانجليز إلى نيو أمستردام ، ثم غادروها ومعهم وثيقة التسليم التي كان ستوفيسانت قد وقعها ، وعندما أتى الضباط الإنجليز لتسلم مقاليد المستعمرة وجدوا ستوفيسانت في انتظارهم وقد ارتدى زيه الرسمي الكامل

بما في ذلك القبة المردودة الأطراف والسيف ، وكان يعتقد أنه قد حصل على شروط حسنة لمواطنيه ؛ إذ نصت المعاهدة على السماح لهم بالاحتفاظ بممتلكاتهم ، واعترف لهم بحقوقهم التجارية مع هولندا .

وقام البريطانيون بتغيير اسم أيواستردام إلى نيويورك وبيفرويك إلى ألباني ، كما أصبح نهر موريس نهر الهدسون ، واستمر الهولنديون يستخدمون لغتهم في الحديث ، كما احتفظوا بعاداتهم وقصصهم الخرافية عن الأشباح والعفاريت .

وقد وضع واشنطن إدفينج - وهو كاتب من نيويورك - كثيراً من هذه القصص في كتاباته ؛ فهو الذي ألف قصة ريب فان وينكل ، كما نشر أيضاً مجموعة القصص المسلية « تاريخ نيويورك » ، وتحكى إحدى القصص كيف أن مجرى هارلم أصبح يطلق عليه (سبوتين دوفل) في المكان الذي يلتقي فيه بالنهر ، فبعد ما أصبح خطر الإنجليز يهدد المدينة ، أرسل ستوفيسانت نافخ البوق أنتوني فان كورليركي يثير سكان الريف ، وعندما وصل أنتوني إلى مجرى هارلم حيث تتدفق المياه فوق الصخور حاول أن يعبر النهر .

ويحكى الناس أنهم سمعوه ينفخ في بوقه كما شاهدوا الشيطان وهو يخرج من بين الأمواج المازبدة ويمسك بشدة بساق أنتوني ، فنفخ الأخير بشدة في بوقه ثم غاص في المياه ولم يره أحد بعد ذلك قط ، ومنذ ذلك اليوم أطلق على هذا المكان اسم (سبوتين ديفل) وهي تعني الشيطان النفث - وهو المكان الذي يحيط به مجرى خليج هارلم بجزيرة مانهاتن من الشمال ويعمل منها جزيرة .

وترك بيتر ستوفيسانت بيته في المدينة وأقام في ضيعته ، وكانت تقع حيث يوجد شارع باواري ؛ وعاش هناك حسب التقاليد الهولندية العريقة ، يأكل ويشرب مع جيرانه في أيام الأعياد ، وفي المساء يجلس تحت شجرة الكمثرى بحديقته ليذخن الخليون ، وعندما مات ستوفيسانت دفن في كنيسة أطلق عليها فيما بعد (القديس ماركس في الباواري ، أو الضيعة) .



يقول الاهالى إن الشيطان خرج من بين الامواج وجذب أتونى إلى القاع

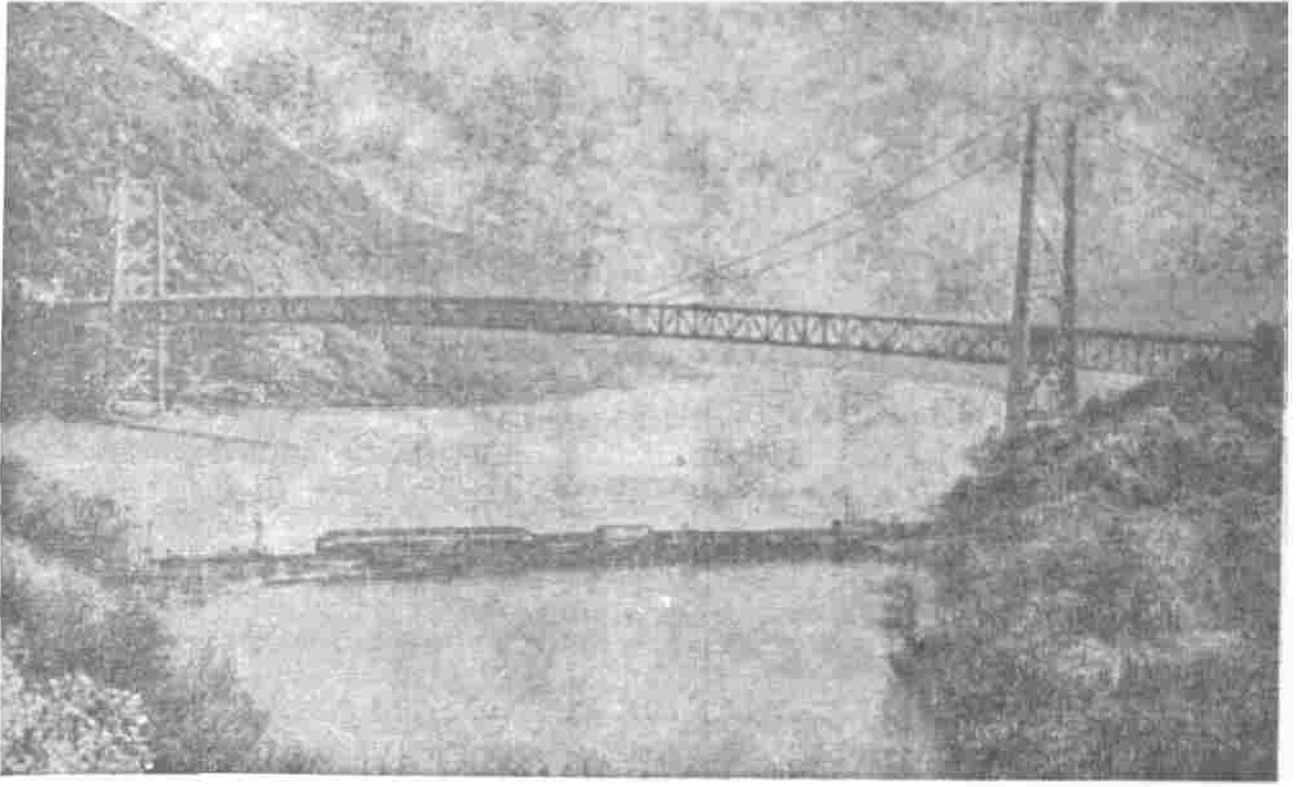
ولمدة طويلة ظلت شجرة الكثرى ملقى بظلها على بيت بيتر ، كما كان الاهالى
الهولنديون يقولون لأنهم كانوا يسمعون وقع قدمه الخشبية فى اللبالي المظلمة ؛ إذ
كانوا يعتقدون أن شبح بيتر ذى الساق الخشبية يأتى ليسهر على مصالح مواطنيه .

وسرعان ما كيف الهولنديون أنفهم على الحكم البريطانى ؛ إذ أنهم اكتشفوا
أن شكاياتهم لم تزد عن الفترة السابقة لقدومهم ، ونظراً لأن الاهالى كانوا يكرهون
دفع الضرائب ، فإنهم قاموا بحل هذه المشكلة بنفس الطريقة التى كانت متبعة من
قبل ؛ فاستمروا فى تهريب البضائع إلى داخل المستعمرة وتهريب الفراء وجلود
القدس إلى خارجها .

وكذب صراع كبير حول ملكية جزيرة ستاتن ، أكبر جزر الميناء ، فقد ادعت كل من نيويورك ونيوجيرسى ملكيتها لهذه الجزيرة ، وتقول الأساطير إن دوق بورو حكم هذا الخلاف بقوله : « إن الجزيرة التي يمكن الطواف حولها بحراً في أربع وعشرين ساعة تكون ملكاً لي ، ولا أعلم كيف توصل شقيق الملك إلى هذا القرار ، ولكن أحداً لم يرغب في معارضته .

ثم أرسل في طلب كابتن (بيلوب) وأمره بالطواف حول الجزيرة وحاد بيلوب إلى سفينته « بنتلي » ووضع على سطحها صفوفاً من البراميل الفارغة لكي تساعد في دفع السفينة إذا هب النسيم ، وتجمع الكثيرون على شاطئ النهر المقابل للميناء لمشاهدوا السفينة « بنتلي » عند إقلاعها مع مطلع الشمس ، وانسابت السفينة بخفة حتى توارت عن الأنظار خلف التلال الخضراء لجزيرة ستاتن ، وقبل انقضاء فترة الأربع والعشرين الساعة بقليل كانت السفينة « بنتلي » تدور حول المنحنى الأخير وتدخل الميناء ، وأصبحت جزيرة ستاتن جزءاً من ولاية نيويورك عل الرغم من أنها أقرب إلى ولاية نيوجيرسى .

وفي تلك الأيام كانت هناك مناشير كثيرة للخشب على جوانب الروافد التي تصب في نهر هدسون شمالى الهايلا نذر ، وفي فصل الربيع كانت هذه المناشير تلتقي في النهر بأعداد لا حصر لها من جذوع الأشجار التي كانت تطفو على النهر وتجرفها المياه تجاه المصب ، وكانت تلك الجذوع يثشد بعضها إلى بعض لتتكون منها أطواف ضخمة ، وكان الخطابون وأسرهم يبنون أكواخاً صغيرة على هذه الأطواف ويرحلون مع أخشابهم الطافية على مياه الهدسون بوجهونها في سيرها حتى يصلوا بها في النهاية إلى نيويورك ، ومن هناك يستقلون إحدى سفن النهر البطيئة لتعود بهم إلى ديارهم مرة أخرى في أعلى النهر ، وظل قباطنة السفن سادة للنهر وكانوا يأخذون الحاصلات والمسافرين إلى المدينة ويعودون مرة أخرى ومعهم النقود أو المشتريات المطلوبة .



تتبع الطرق والسكك الحديدية ضفاف النهر

وكان المسافرون خلال رحلتهم النهرية يشاهدون قصور الباترونات، وملوك الأراضي من الانجليز وهي تشمخ فوق كثير من القمم العالية فوق النهر ، وعلى طول نهر هدسون استقر كثير من العائلات الانجليزية الثرية بين الهولنديين وانتشر استعمال اللغة الانجليزية ، وكانت قصور ملاك الأراضي تبنى على غرار القصور الملكية في فارس وألمانيا وإيطاليا واليونان . وكانت القصور جميعها محاطة بمساحات شاسعة من الحدائق ، كما استورد بعض الملاك أطلالا من أوروبا لإضافة صبغة القدم على نهر هدسون .

وطوال مائتي عام لم يتمكن المزارعون المستأجرون من امتلاك الأراضي ، وكثيراً ما كانوا يثورون على هذا الوضع فيقمع الملاك ثورتهم ليوود المزارعون إلى انتفاضة أخرى بعد سنوات قليلة .

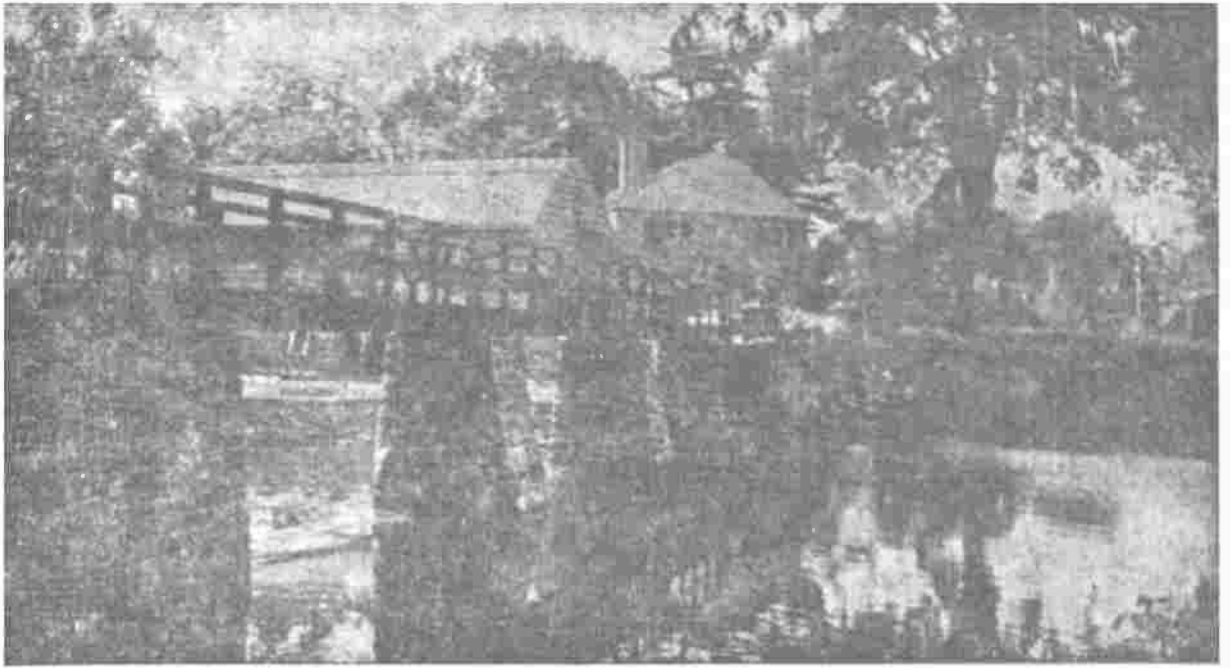
وفي أحد الأيام امتطى مزارع إيرلندي شاب اسمه « برندرجاست » صهوة جواده ومعه زوجته ، وأخذوا يناديان في الفلاحين في وستشستر بأن يهبوا معهما في ثورة ، فترك الفلاحون والمستأجرون أعمالهم وساروا خلفهما ، وتوجهوا أول الأمر إلى بيت قاض كان قد طرد كثيراً من الفلاحين من بيوتهم لأنهم لم يدفعوا الإيجار إلى البائرون ، وألقوا بالقاضي في بركة قد أعدها لثريبة البط .

وأخذوا بعد ذلك يدخلون مزرعة تلو أخرى فيطردون المزارعين الجدد الذين حلوا محل المطرودين . وفي النهاية قرر « برندرجاست » أن يقود رجاله إلى مدينة نيويورك وأخذوا يصبحون في مسيرتهم : (نحن رجال أحرار - أعطونا حقوقنا) . وفي المدينة قام الجنرال البريطاني جيج باستدعاء كل جندي واختبأ الأهل في منازلهم خوفاً على أرواحهم ، فقد كانوا يعلمون أن « برندرجاست » كان على رأس أكثر من ألف مزارع غاضب . كما كانوا يعلمون أن هناك أعداداً أخرى من الفلاحين تنضم إلى الثورة في أعالي النهر .

ثم تلقى « برندرجاست » رسالة تخوفاً أن جنرال « جيج » سيرسل كتيبة من الجنود المدربين تدريباً خاصاً لقمع ثورة الريف . وكان الفلاحون يعرفون أنه ليس بإمكانهم الوقوف أمام الجنود المدربين تدريباً خاصاً ، فانسحب أغلب الرجال وعادوا إلى ديارهم ولم يبق مع « برندرجاست » وزوجته ، سوى ٥٠٠ رجل .

وعندما استسلم « برندرجاست » ذهب زوجته إلى الحاكم لتطلب الرحمة والعفو عن زوجها . فعفى ملك إنجلترا عنه نزولاً على رغبة الحاكم .

وانتهت الثورة ولكن مقاليد الأمور كانت لا تزال في يد « البائرونات » . وفي « تاري ناون » كان البائرون فردريك فيليبس يعيش ببذخ في قلعته الضخمة التي كانت بمثابة عالم مستقل بذاته .



جزء من قلعة فيليبس كما تبدو اليوم

فكالت تحوى الشون والطواحين والمخازن والمساكن وكل شيء محتاج إليه
ملكه صغيرة .

ولا تزال قلعة فيليبس قائمة في تاري تاون ، ، وقد أعيد بناؤها لكي
يراها الزوار في نفس الصورة التي كانت موجودة عليها في عهد الباترون .
وفي أواخر القرن الثامن عشر أخذت مدينة نيويورك تنمو وتوسع متجاوزة
حدود البلدة الهولندية القديمة كثيرة الحركة صاحبة الضواض وبخاصة في
منطقة أرصفتها .

وازدحم الميناء بالسفن ، وكان بعضها يقابل بالترحاب ، والبعض الآخر غير
مرغوب فيه ؛ إذ كانت سفن القراصنة لا تزال تغزو نهر المهدسون كما في الأيام
الأولى . وكان أغلب القراصنة يتخذون قواعد بالقرب من شواطئ فلوريدا
وكارولينا أو نيوانجلند . ولكنهم كانوا كثيرا ما يتفدون إلى نيويورك ويخرجون
منها . بل إن بعضهم كانوا يسرون جيئة وذهابا في طرقات المدينة وكأنها ملك لهم .

وكان أشهر القراصنة على الإطلاق الكابتن (وليام كيد) الجحور، وكان يأتي إلى المدينة كأي مواطن عادي دون أن يحاول إخفاء شخصيته . وكان « كيد » في بداية الأمر مكافأ بالقبض على سفن القراصنة ، ولكن لم ينقض وقت طويل حتى أصبح « كيد » نفسه مزارع المستعمرات الاسبانية . وكان يملك منزلاً في « وول ستريت » حيث كانت تعيش زوجته محاطة بالاحترام والتبجيل .

وفي النهاية تم القبض على الكابتن « كيد » في مدينة نيويورك ، وأرسل إلى إنجلترا حيث حوكم ثم أعدم شنقاً . وبعد مدة كتبت أغنية شعبية عن هذا القرصان تقول :

كان اسمي للكابتن كيد عندما أقمعت ... عندما أقمعت .

كان اسمي الكابتن كيد عندما أقمعت .

كان اسمي الكابتن كيد .

وأوامر الرب قد خالفت ...

وبالحوول ما فعلت عندما أقمعت .

ومن الأساطير الشائعة على ضفاف نهر هدسون أسطورة القرصان الجحور . وقد ظل الباحثون عن الكنوز طيلة قرنين ينقبون بحثاً عن ذهب القرصان دون جدوى . ويقول البعض إن الروح الشريرة لهذا القرصان المتعاشق للدماء تقف شاهرة سيفها لحراسة الكنز . كما يقال أيضاً إن مجرد نظرة واحدة من هذه الروح الشريرة تكفي لأن تفقد أي باحث عن الكنز إبصاره مدى الحياة .

وفي عام ١٦٩٩ ألقت السفن الحربية الانجليزية مراسيها عند « ساندى هوك » خارج ميناء نيويورك واعترضت سفن القراصنة وظهر الميناء فيها . ومع ذلك فقد ظلت سفن القراصنة لمدة مائة عام أخرى تختبئ في الجروف المنعزلة والخلجان على طول الشاطئ ، فكانوا ينتظرون وينقضون على السفن المنجمة إلى هدسون . وعلى الرغم من أن سكان المستعمرة كانوا يخشون القراصنة فإن ضحايا القرصنة كانوا عدداً قليلاً . وبقدوم عام ١٧٥٠ كان قلق الأمريكيين يتزايد تجاه حكاهم الانجليز ، فقد شعر الكثيرون بأنهم لا يعاملون بعدل من بلدهم الأم وملكها .

٤ - الحرب تشتعل على ضفاف النهر

الضرائب : رسوم التمتع . ضرائب على الشاي . ضرائب . على البضائع إلى وادي نهر الهندسون .. كلها ضرائب غير عادلة . وأعلن سكان المستعمرة المستوردة عن سخطهم بقولهم :

« إننا لم نشترك في وضع قوانين إنجلترا ، كما أننا لا نمثل في الحكومة . إن الضرائب الباهظة تموقنا عن التخلص من الفقر ، واجتمع الناس في القرى والمدن ليبحثوا أمر الضرائب وليختلفوا فيما بينهم . فإذا ما التقي فلاح بآخر في طريق ريفي لم يكن لهم نقاش غير ذلك . وكان بعض سكان المستعمرة يريدون الانفصال عن إنجلترا . وهؤلاء أطلق عليهم الوطنيون أو سكان القارة . أما البعض الآخر فكان لا يزال موالياً لإنجلترا . وهؤلاء أطلق عليهم المواليون أو المحافظون .

ودبَّ الخلاف أيضاً بين سكان نيويورك ، وحدث شغب في شوارع المدينة عام ١٧٧٠ ، وتوجمت شرذمة من الجنود البريطانيين ذوى السترات الحمراء إلى (جولدن هيل) لتفريق اجتماع من أطلقوا على أنفسهم « أبناء الحرية » ، واستطاع

الجنود - وهم شامرون لسيوفهم - أن يشتتوا ذلك الجمع الغاضب من سكان المستعمرة الذين كانوا بدورهم يقذفون الجنود بالحجارة .

وفي عام ١٧٧٤ أقام الوطنيون في نيويورك « حفل شاي » خاصاً بهم . فقد تدافعوا على الصقالات الممتدة بين الشاطئ وبين السفينة « لندن » الراسية في نهر « نورث » ، ووجدوا السفينة محملة بصناديق الشاي فأخرجوها إلى السطح ثم ألغوا بها إلى المياه . وبينما كان الشاي يطفو على النهر كان الوطنيون يرددون تهديهم لقوانين الضرائب الإنجليزية . وعندما بلغت سكان وادي الهدسون أخبار من بوسطن عن معركة (إكسينجتون) و (كونيكرود) عام ١٧٧٥ أدرك الناس أنه يجب عليهم الاستعداد للحرب . لقد كان نهر الهدسون ذا أهمية كبيرة للبريطانيين ، فإذا هم استطاعوا الاحتفاظ به أمكنهم عزل المستعمرات الشمالية عن تلك التي تقع في الجنوب ، وكان نهر الهدسون من الأهمية العظمى لكلا الطرفين ، بحيث أطلق عليه (مفتاح الثورة) . ولم ينفذ وقت طويل حتى كان الإنجليز قد أغلقوا نهر الهدسون في الشمال فاستولوا على حصن « تيكونديروجا » على بحيرة « شامبلين » ، وكانت علاقاتهم طيبة مع قبائل الايراكوا شديدة البأس ، ودخل الاسطول البريطاني ميناء نيويورك عام ١٧٧٦ وألقى مراسيه تحت تلال الباليستينز الشديدة الانحدار ، واتخذ الجنود مواقعهم في جزيرة ستاتن فقابلهم المهافطون بالتهليل والترحيب ، فقد منحهم وجود الجنود شعوراً بالطمأنينة ، إذ أن جبال واشنطن ومن خلفه الوطنيون ، كانوا يتخذون مواقعهم في جزيرة لونج آيلاند .

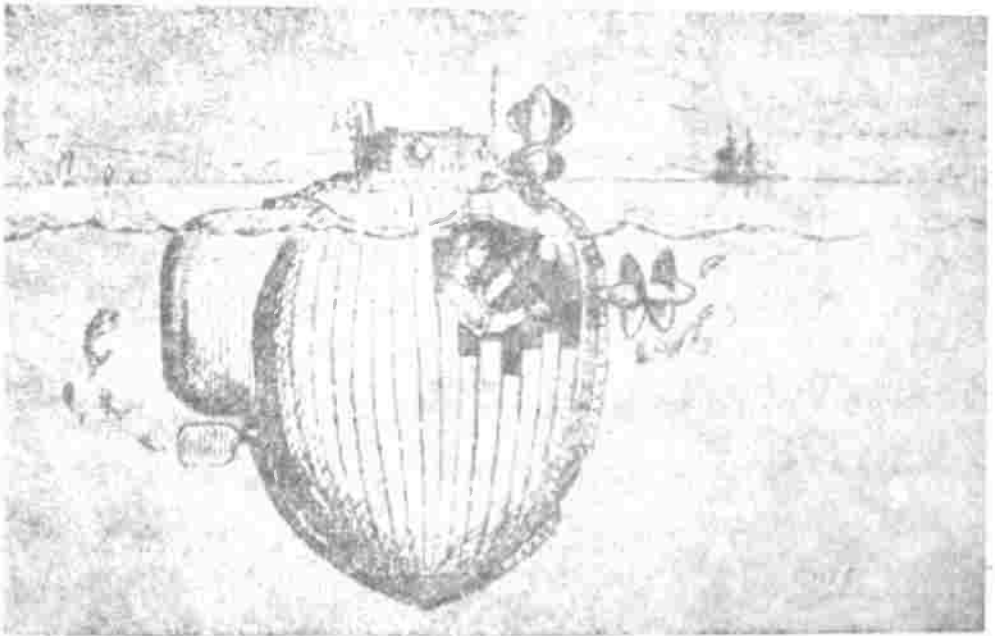
وعلى طول وادي النهر ، هجر المزارعون الوطنيون بيوتهم وأراضيهم لكي يلتحقوا بجيش (جورج كليفتون) الذي كان هو نفسه ابن أحد المزارعين ، وكان ضخم الجسم . وكان الجيش الذي انفض حول كليفتون ينقصه التدريب والنظام ولكن عزيمة رجاله كانت رافية ، وقد عمد كليفتون إلى تحصين الجزر في إقليم الهايلاندز وتقوية الحصون الخشبية الصغيرة التي كانت قائمة بالفعل على ضفاف النهر .

وشهد نهر الهدسون خلال شهر أغسطس من عام ١٧٧٦ كثيراً من الحوادث . فقد كان رجال البحر الاسريكيون يصنعون سفناً خاصة للحريق لمهاجمة الاسطول

البريطاني عندما يصعد في النهر ، وكانت الخطة هي لإشمال النيران في هذه السفن ،
ثم الاندفاع بها لتلتحم بسفن العدو فتشعل فيها النيران . وكان البحارة على ظهر هذه
السفن يعلمون جيداً أن أية رحلة من هذا النوع قد تكون رحلتهم الأخيرة . وقد
أخفق هذا الهجوم كعركة متكاملة ، ولكن إحدى سفن الحريق هذه نجحت في
تدمير السفينة الانجليزية (كارلوتا) في التابان زي ، وقد استشهد في هذا الهجوم
، الضابط الشجاع توماس ، الذي كان حاملاً للعلم . وقد ألب استشهد توماس
حماسة الأمريكيين من منطقة الميناء حتى سفوح جبال الأديرونداك .

وتحت ستر الظلام ، ليلة السابع عشر من أغسطس ، نزلت جماعة صغيرة من
الرجال على جزيرة (جافرنز) الواقعة عند طرف جزيرة مانهاتان ، وكانوا
يمهزون لأغرب هجوم شهدته هذه الحرب .

وكانت هذه الجماعة بقيادة (ديفيد بوشنيل) الذي كان يشرف على تدشين
سفينة بحرية اخترعها وسماها " تيرتل " ، أي السلحفاة البحرية ، وكان (ازرا لي)
الجاويز في الجيش الاتحادى هو الذى سيقوم بقيادة هذه السفينة .



يبين هذا الرسم القديم منظرًا تحت الماء لغواصة " بوشنيل " ،



نرى في هذا الرسم
الفواعة «نيرتل»
وهي تقرب من
السفينة الإنجليزية
«لوجل»

وكانت «النيرتل» أول نموذج عمل للفواعات في التاريخ . وقد وصفها
بوشنيل بأنها فواعة ضخمة ترتدى قبعة . وبعد أن دلف (ازرالى) من الفتحة
الضيقة في أعلى منتصف الجسم الخشبي للفواعة أغلق خلفه الغطاء المحكم ضد المياه .
وبعد ذلك سمحت «النيرتل» بواسطة أحد قوارب صيد الحيتان إلى مياه الميناء
الملاطمة إلى أقرب مسافة ممكنة من سفن الأسطول البريطاني .

ثم غطست «النيرتل» تحت سطح الماء . وكان بإمكان (لى) أن يوجهها
بسهولة إلى الأمام أو إلى الخلف بسرعة ثلاثة أميال في الساعة . كما كان موصاه
أن يصعد بها إلى السطح عندما يريد . وكانت «النيرتل» تسحب خلفها سلاحا
بيض الشكل محشوا بالبارود .

وأخذ لى ، فى الاقتراب من الأسطول ، واستعد لإطلاق سلاحه . ولكن أحد المراقبين على السفينة الإنجليزية (ليجل) رأى فى انعكاس ضوء القمر على سطح الماء شيئاً مستديراً غريب الشكل . فأعطى إشارة الخطر ، فاستدار (لى) بسفينته فى اتجاه جزيرة مانهاتان حيث أسرت سفينته .

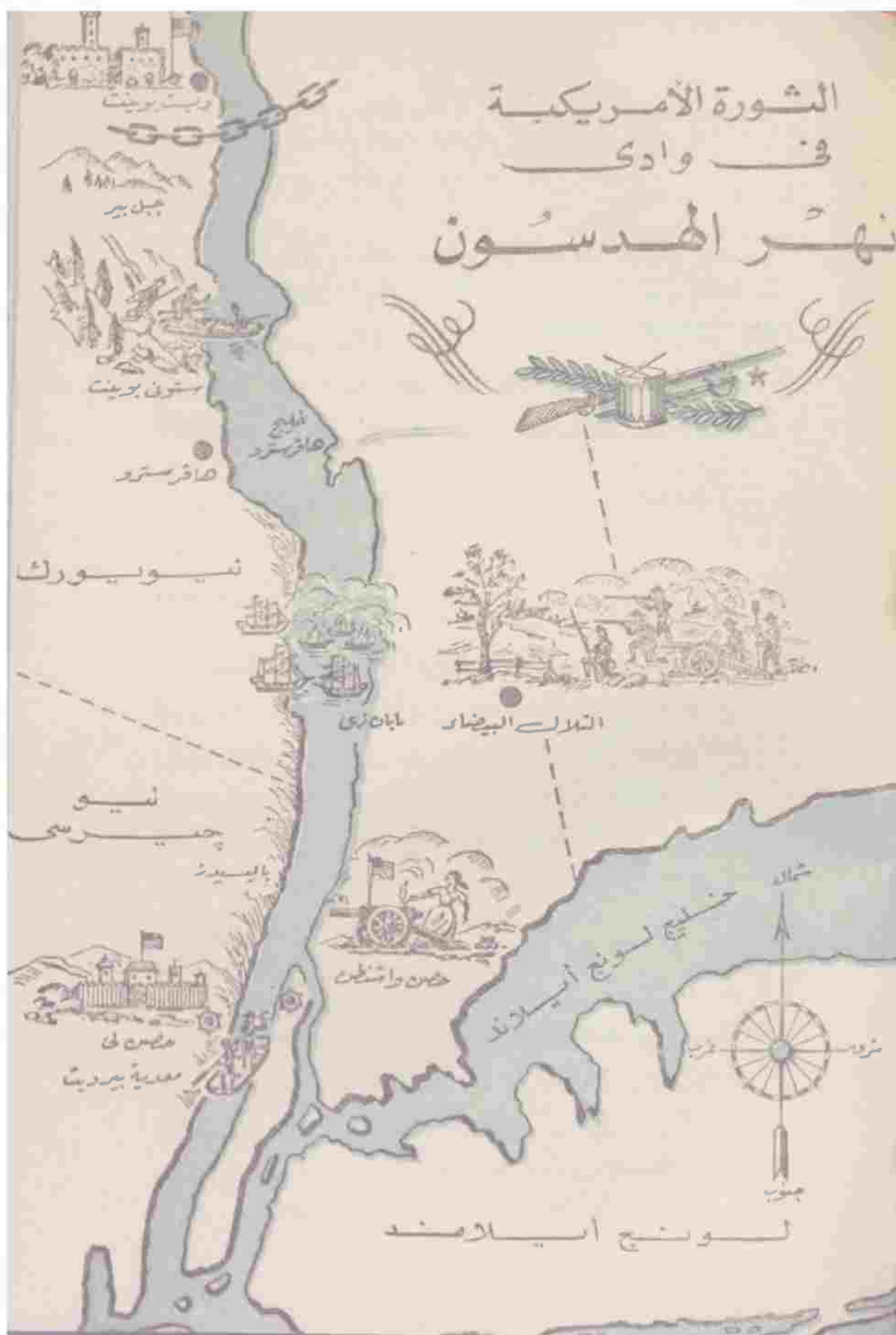
ومع أن الاتحاديين لم يستفيدوا شيئاً من هذه الغواصة إلا أن الجنرال واشنطن قال على هذا الاختراع إنه محاولة عبقرية .

وترك شهر أغسطس هذا ذكرى لا ننسى من ذمن هذا الجنرال الطويل القامة الذى كان يقود الثوار ، فقد هزمه الإنجليز فى هذا الشهر فى معركة لوج أبلاندى ، لأن رجاله كانوا أقل عدداً وتدريباً .

وكان على واشنطن أن ينسحب إلى نيويورك ثم يسيّر بجيشه إلى معركة مرتفعات (هارلم) . وفى معركة (هوايت بليز) أتى جنرال كليفتون بجيشه الذى يتكون من المزارعين من وادى الهدسون وانضم إلى واشنطن . ولكن الاتحاديين أجبروا على التقهقر ، وانسحب جيش واشنطن عبر جزيرة مانهاتان . ثم أخذ رجاله واتجه إلى د فورت لى ، وهو حصن مشيد على قمة تلال الباليسيدز فى نيويوركسى . وهناك قامت قواته بتعزيز الحصن بأسرع ما يمكنها .

وعلى الصفحة الأخرى لنهر المقابلة (لفورت لى) كان هناك حصن منيع يسمى (فورت واشنطن) على جزيرة مانهاتان ، وكانت الحفنة الصغيرة من الرجال فى هذا الحصن يهدون المدة لصدم هجوم البريطانيين ، وكان مهم بعض من النساء اللاتي رفضن أن يتركن أزواجهن وحدهم على خط النار . وكانت (مولى كوربين) إحدى هؤلاء النساء ، قد وقفت بجانب زوجها (جون) وهو يطلق مدفعه بإصرار لينجح تقدم العدو إلى أعلى التل .

الثورة الأمريكية في وادي نهر الهندسون



و فجأة سمعت (مولى) صرخة مدوية . لقد قتل المدفعى الذى كان يحشو المدفع
لجون ، فانزعجت مولى المدك من يده وأخذت تقوم بعمله .

ووقفت « مولى » تساعد زوجها ، على الرغم من علمها بأن الحصن لا يمكنه
الصمود أكثر من ذلك أمام العدو الذى أخذ فى التقدم حتى أصبحت مدافعه تنذف
بقنابلها فوق الحصن وما لبثت أن انفجرت إحدى القذائف بالقرب منها . فقفزت
إلى المدفع وأخذت تحشوه وتطاقه وحدها عدة مرات إلى أن شعرت فجأة بآلام
لا تطاق فسقطت مغشىاً عليها ، على حين كان العدو يدخل الحصن مظفراً .

وكانت مولى كوربين أول امرأة تشترك فى الحرب ، بمساعدة الإهالى بعد
ذلك إلى أن يطلقوا عليها « كابتن مولى » . وقد ظلت ترتدى — بقية عمرها —
« سترة » رجال المدفعية .

وتحت الجرف المقام عليه (فورت لى) كانت قوارب « برديت » المستخدمة
للمبور فى النهر تلعب دوراً هاماً فى الحرب ؛ فقد كان « برديت » أحد الوطنيين ،
وكانت زوارفه العديدة تتحرك طوال الليل والنهار فى نقل جنود واشنطون إلى
(فورت لى) . كما قام بنفسه بنقل الجنرال واشنطون وضباطه إلى منتصف النهر
ليتمكنوا من مراقبة المعركة الدائرة فى فورت واشنطون . ثم عاد بهم مسرعاً
لكى يتمكنوا من إعداد خطة عاجلة للتفكير ، فقد بدا واضحاً للجميع أن الجيش
البريطانى الأكثر عدداً سوف يتمكن بعد قليل من ارتقاء مرتفعات الباليسيدز ،
كما أدركوا تضرر الاحتفاظ بفورت لى .

وقاد الجنرال واشنطون رجاله المجهدين الذين ثبتت مهمهم ، وساروا صففاً
طويلاً فى السفح الغربى للباليسيدز ، واخترقوا المراسى المسلحة قاصدين
(هاكنساك) ، وقد حلوا معهم ما أمكنهم جمعه من المؤن وتركوا الباقى خلفهم .
وفى الطريق كان عليهم أن يقفوا بين الحين والآخر لصد مناوشات السكشافه
البريطانيين والمحافظين .

وكان من بين الوطنيين رجل يدعى (توماس بين) ، ومع أنه لم يكن جندياً ، إلا أنه كان كاتباً بارعاً ، وقد أشعلت كتاباته نار الثورة في أرجاء المستعمرات الثلاث عشرة . وفي يوم ما ، بينما كان يسير على طريق غير مرصوف جال في ذهنه موضوع كتيب جديد . وعندما حل الظلام جلس بجوار موقد النار في المعسكر واتخذ من طبة نضداً له . وسمى هذا الكتيب (الأزمة) ، وقد استهل هذا الكتيب بكلمات أصبحت خالدة في أمريكا :

« إن هذه الأوقات العصيبة هي التي تظهر معدن الإنسان . وقد يعتمد جنود الصيف وأولئك الذين ترتبط وطنيتهم بسطوح الشمس^(١) إلى التخلي عن خدمة بلادهم في أثناء هذه الأزمة . ولكن الذين سيصمدون الآن يستحقون حب كل مواطن وشكره — رجلاً كان أو امرأة .

وترك رجال واشنطون نهر الهدسون واتخذوا من (فال فورج) بولاية بنسلفانيا مقراً شتوياً لهم . وبالرغم من ذلك استمرت الحرب في وادي نهر الجبال العظيم .

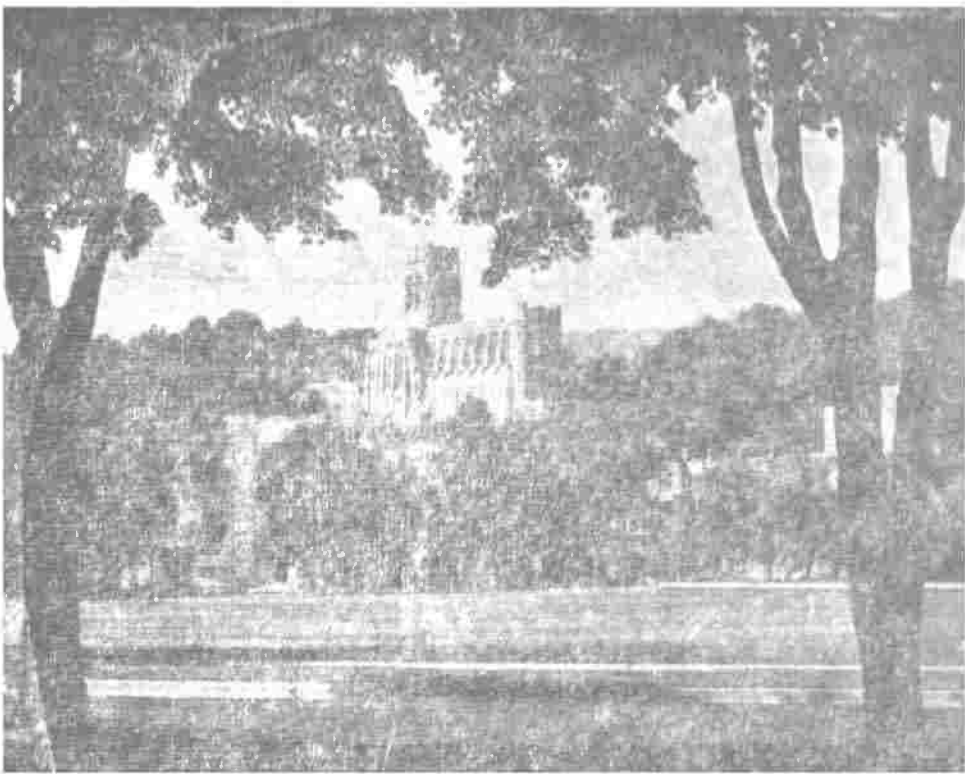
وكانت قد أقيمت مسابك للحديد قبل ذلك بسنوات في أماكن متفرقة من نيو جيرسى . وفي أحد هذه المسابك كان الحدادون يعملون بأقصى طاقتهم للانتهاء من صنع سلسلة حديدية ضخمة ، وفي إحدى الليالي نقلت هذه السلسلة — بعد أن جازت إلى قطع عديدة — على عربات إلى ضفة نهر الهدسون حيث جمعت حلقاتها الضخمة في مربة تامة . ثم سحبت عبر النهر وثبتت تحت الماء جنوبي (وست بويلت) .

وتنفس الوطنيون الصعداء بعد أن أتموا مهمتهم : « من الآن فصاعداً لن نستطيع السفن الحربية التابعة للناج البريطانى أن تعبر هذه السلسلة إلى أعلى النهر ، .

(١) كان للثناء على الأبواب ، وفي كلام السكان إشارة إلى أن بعض المواطنين كانوا يمزقون عن الحرب في هذا الفصل ، وهو يحاول استتارة عنهم حتى لا يتقاعدوا عن الاشتراك في النضال ، حتى ولو كان الجوعاسى البرودة — (المراجع) .

ونعمد (وستبورنت) من أكثر الأماكن الاستراتيجية أهمية على النهر ، وكانت أحسن موقع يمكن اختياره لإقامة حصن . وقد ظل الإنجليز لمدة عامين بعد سقوط (فورت لي) يسيطرون على جانبي وادي الهندسون الأدنى ، في حين كانت المناطق شمال خليج هارفسترو والتابان زى لا تزال في حوزة الأمريكيين .

وقد قام الأمريكيون بنشيد معقل لهم في وستبورنت بإشراف (تادبوس كوسيو سكو) البناء البولندي الشهير الذي كان يؤمن بالحرية ، ولم ينقض عام على بنائه حتى أصبح مقر القيادة للجنرال واشنطن .



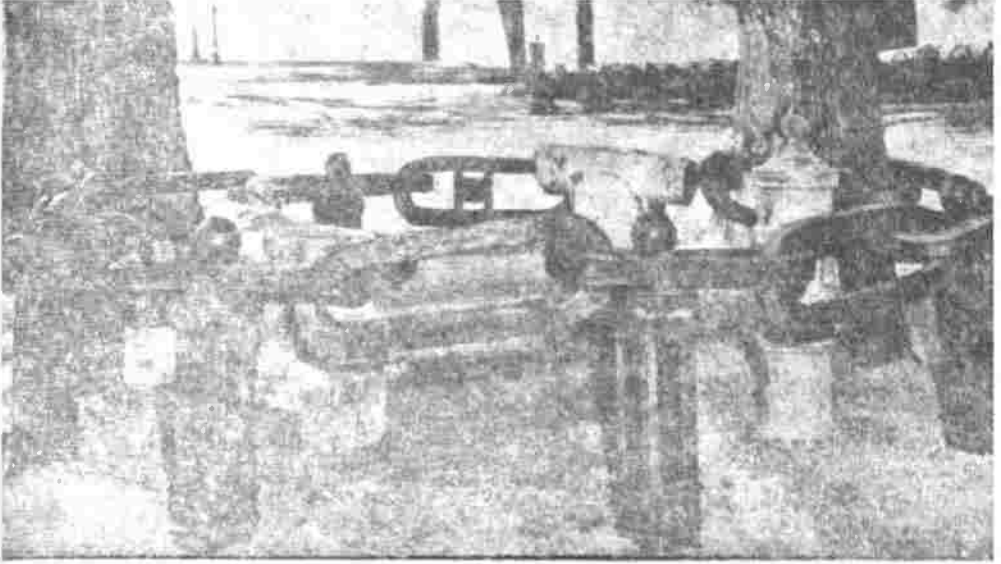
الأكاديمية الحربية في الولايات المتحدة في وست بورنت كما تبدو اليوم

طوال هذه المدة كان جورج كليبتون لا يزال في أعلى النهر ، وكان يستخدم رجاله في بناء الحصون والدفاع عن الوادى . واسوء حظ المحافظين كان بعض من كبار ذوى السلطة والنفوذ في وادى الهدسون يقدمون يد المساعدة إلى الحركة الاتحادية ، وكان من بينهم روبرت ايفينجستون ، وفان ريسيلر ، وبيتر شوالر . الذى لم يكتف بإمدادهم بالموث والمال ، بل قام بقيادة جنوده من الباقى لىكن تنضم إلى جيش واشنطن .

والى بحقق البريطانيون السيطرة على وادى نهر الهدسون بالكامل فقد تم إرسال قوات من الجنود النظاميين والمرتزة الحمراء بقيادة الجنرال « برجون » إلى الجزء الأعلى من النهر ، وهكذا أصبح وادى النهر يمر بأحرج اللحظات منذ بداية الحرب . وفي مدينة نيويورك أيضاً كالت القوات البريطانية تعد العدة لغزو الجزء الأعلى من النهر .

وحاول الوطنيون أن يوقفوا جيش « برجون » في الشمال ، وفعلاً قام الأمريكيون بقيادة الجنرال « جيتس » بالاشتباك مع قوات برجون من الإنجليز والمرتزة والهند الايروكوا في ساراتوجا في الجزء الشمالى من ولاية نيويورك . ودارت بينهم معركة عتيفة تمكن فيها الاتحاديون من هزيمة البريطانيين الذين أعلنوا استسلامهم في السابع عشر من أكتوبر عام ١٧٧٧ ، وكان بطل معركة « ساراتوجا » هو « بنديكت أرنولد » الذى فقد ساقه في ميدان المعركة .

وأصبحت معركة ساراتوجا نقطة تحول هامة في الحرب الدائرة على ضفاف نهر الهدسون ، فأقام الوطنيون في كل مكان من نيوانجلند حتى ولاية جورجيا الاحتفالات تعبيراً عن غيبتهم لهذا الانتصار ، وأدركوا أنه مادام البريطانيون لا يستطيعون فرض سيطرتهم على الجزء الشمالى ، إذن فمن الممكن إخراجهم من الجزء الجنوبى من النهر ، كما أنهم لن يتمكنوا من الملاحقة في النهر إلى أبعد من السلسلة الحديدية الضخمة التى وضعت لمنع سفنهم من صعود النهر .



جزء من سلسلة واشنطن الضخمة معروضة في ويست بوينت

فقد كان الاعتقاد السائد أن هذه السلسلة ستشكل عائقاً منيعاً أمام الأسطول البريطاني ، ولكن الذي حدث هو أنه عندما أفلح الأسطول البريطاني متجهاً إلى الشمال تردد على أسماع الوطنيين في المنطقة صوت المطارق وهي تدق الحديد . فقد تمكن بحارة الأسطول من رفع السلسلة من طرفهم ، وبهذا أصبح النهر مفتوحاً لهم . كان أمام الأمريكيين مهمة صعبة ، فقد كان عليهم محاربة المحافظين وحلفائهم من الهنود الإيروكوا ، علاوة على البريطانيين .

وفي عام ١٧٧٨ أخذت تردد في جهات الوادي أنباء عن المذابح التي يقوم بها الهنود ؛ فقد كان الهنود ومعهم المحافظون يقومون بإشعال الحرائق ، وقتل الأبرياء ، وتدمير ما يقع تحت أيديهم على طول نهر (موهوك) ، وكان المتوقع ألا ينفضى وقت طويل حتى يصلوا إلى وادي الهدسون وينشروا الرعب والدمار بين أرجائه ، فأرسل الجنرال واشنطن جيشاً ليوقف الإيروكوا عند حدهم . وفعلاً عم السرور سكان الوادي في العام التالي ، إذ تم تدمير المدن الهندية ، وأصبح الإيروكوا عاجزين عن مساعدة البريطانيين في حربهم .

وبحلول عام ١٧٧٩ كان الأمر يكون متجهمين، وقد حل بهم الإعياء، وانتشر
بينهم الجوع لقلة الطعام . ولكنهم رغم ذلك لم يفقدوا روحهم المرحية . ومن بين
الحوادث المضحكة التي جرت على النهر هذه المعركة التي وقعت عندما نزلت القوات
البريطانية إلى (ستوني بوينت)، وتقدمت تجاه الحصن الأمريكيين القائمين
هناك على الشمال من الضفة الغربية للنهر ، ولم يكن الجنرال كلينتون وهو قائد أحد
هذين الحصنين يعتقد أن بإمكان البريطانيين الاستيلاء بسهولة على حصن
مونتهجومري وحصن كليفتون ، مع أن عدد الجنود بهما كان قليلا . ومع ذلك
أمكن للجنود البريطانيين عند وصولهم (ستوني بوينت) أن يتقدموا سريعا
إلى أماكن الحصنين وذلك بفضل قلاح من المحافظين قام بإرشادهم في دروب
المنطقة . ورغم استئصال الاتحاديين في المعركة الضارية التي وقعت إلا أنها لم تستمر
طويلا . واضطر الجنرال كلينتون - الذي كان قد انتخب لنوه كحافظ لولاية



الجنرال انتوني وين يهاجم البريطانيين في ستوني بوينت

نيويورك — إلى أن يصدر أمره بالسحاب بسرعة . فاختبأ بعض رجاله في الغابات ، وهرع الباقون إلى قوارب صغيرة كانت تنتظرهم في النهر . وانزل الجنرال بسرعة كبيرة على حافة جرف ، وأخذ الناس على طول الوادي يتناقلون هذه القصة وهم يضحكون ، فقد تسبب انزلاق الجنرال على الجرف أن تمزق سرواله تماماً من الخلف .

وانتقلت الحرب بعيداً عن وادي الهدسون ، ومع ذلك ظلت مدينة نيويورك تحت سيطرة العدو ، وبقي أسطول بريطاني في نهر (نورث) . ولكن (وست بوينت) كانت لا تزال في أيدي الأمريكيين .

وفي ليلة حالكة السواد من عام ١٧٨٠ تمحركت السفينة الحربية الإنجليزية (فالتشر) بهدوء فوق مياه النهر ، وأنزلات على الشاطئ رجلاً نحيلاً يرتدى معطافاً على بعد عدة أميال جنوب (وست بوينت) ، وقابله رجل غامض آخر فتصافحا وجلسا يتحدثان حتى الفجر ، والسفينة — (فالتشر) تربعض في صمت مطبق .

وعندما بزغ النور كان الميجور البريطاني (جون أندريه) قد حصل على خطط كاملة لجميع تحصينات (وست بوينت) ، فقد أعطاها له الجنرال (بنديكت أرنولد) البطل الذي أشاد به الأمريكيون في معركة ساراتوجا .

وبينما كان الميجور أندريه بهم بركوب قارب صغير أطلق الأمريكيون النيران من الضفة الأخرى على السفينة (فالتشر) ، فلم تنتظر السفينة عودة الميجور ، بل رفعت مرسأها وأقلعت من فورها تجاه الجنوب . ولم يكن بإمكان أندريه أن يفعل أكثر من الاختباء في منزل قريب لأحد المحافظين .

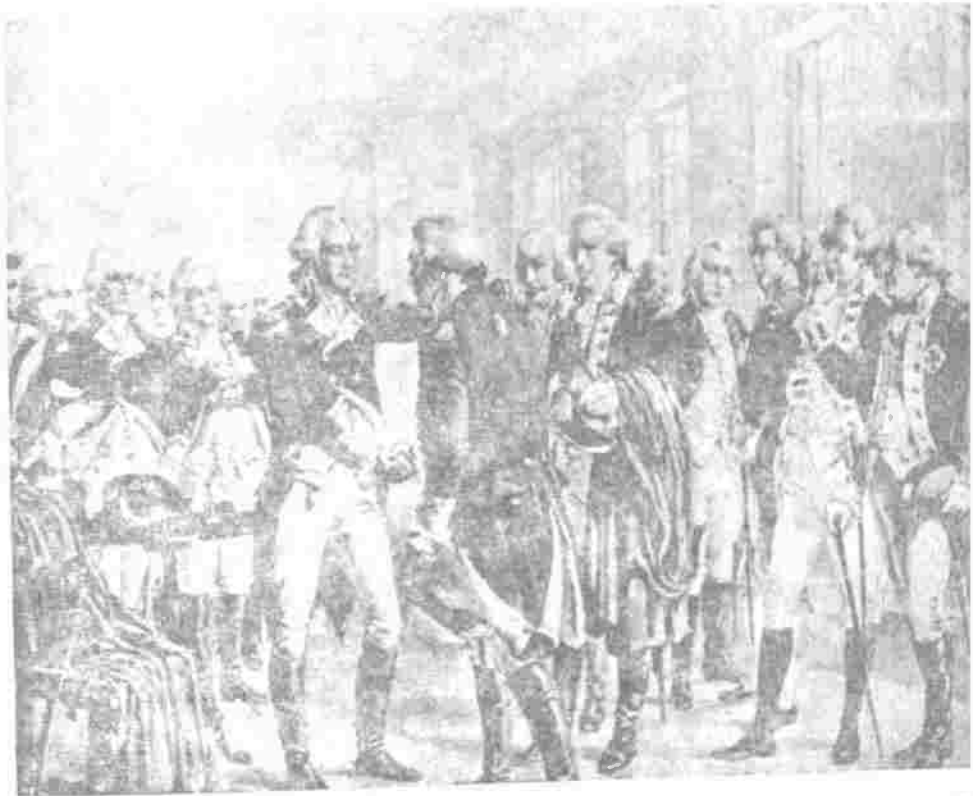


أرنولد الذي يمسك الورق في يده يقترح أن يجلبها أندريه في حذائه

وعاد الجنرال أرنولد مرآ إلى وست بوينت . وبعد حلول الظلام تمكن
أندريه من عبور النهر والحصول على حصان . وعندما اقترب إلى بلدة ه تاري
تاون ، ظن أنه قد أصبح في مأمن . ولكن ثلاثة جنود اتحاديين نادوه بالقرب
من مقابر (سليبي هول) ، وعندما فلقوه وجدوا معه خرائط وست بوينت مخبأة
في حذائه . فأخذتهم المفاجأة وكادوا لا يصدقون أعينهم .

وحكم الميجور (جون أندويه) وأدين بنهمة التجسس ، وقد تم إعدامه شنقاً
في تاران بولاية نيويورك . ولكن بنديكت أرنولد تمكن من الفرار على ظهر
(الفالقتر) وأصبح اسمه رمزاً للخيانة عند الأمريكيين منذ هذا التاريخ .

ها قد أوشك القتال على ضفاف النهر أن ينتهى . وعندما استسلم (كورنواليس)
في بورك ناون بولاية فرجينيا عم الفرح والمرور ، وأطلقت الألعاب النارية
احتفالاً بهذه المناسبة السعيدة ، وأخذ الوطنيون يغنون ويرقصون كالهنود وانطلق
الفرسان إلى الريف لينشروا هذا الخبر السار .



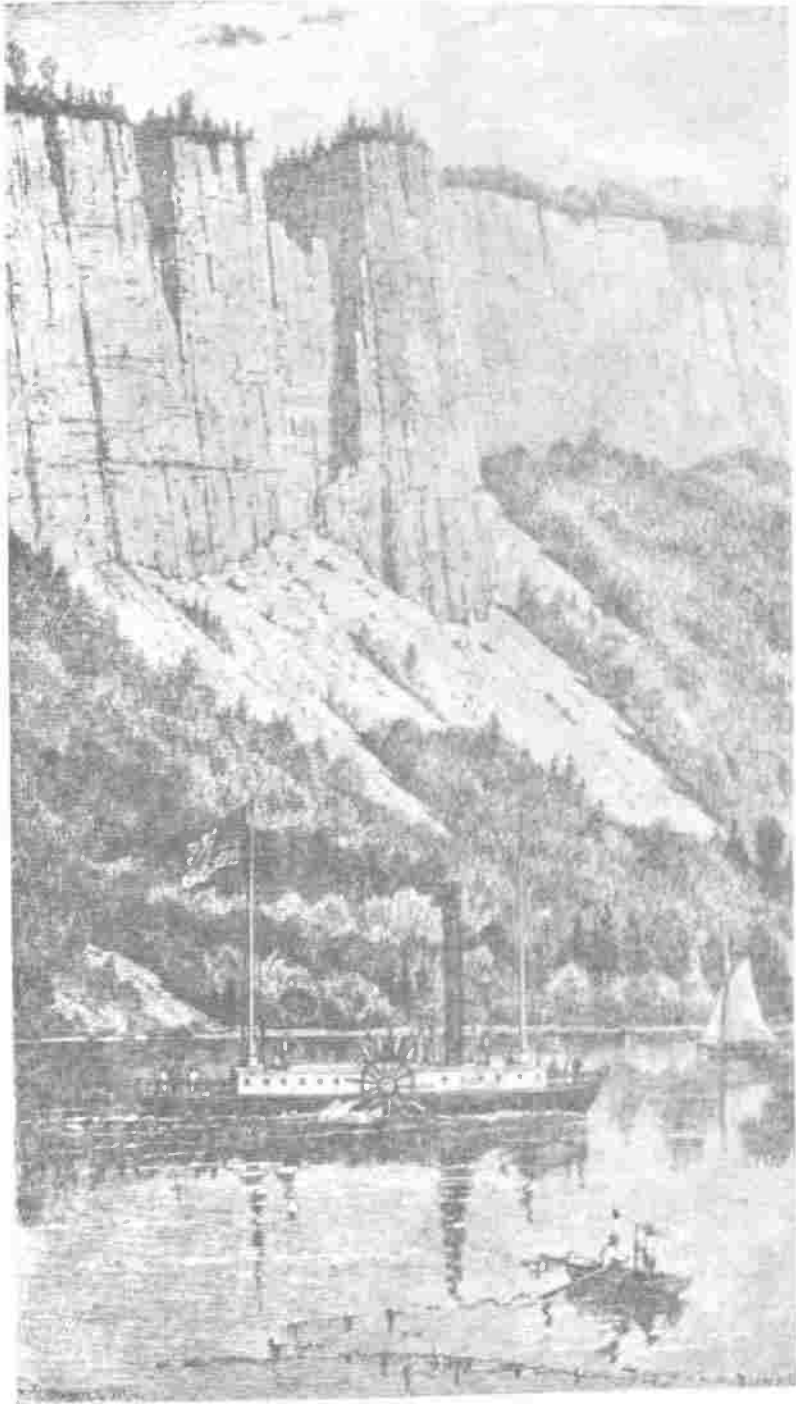
الجنرال واشنطن يودع ضباطه في حانة فروليس



حانة فرولس كما تبدو اليوم

وخلال الفترة التي قضاها رجال السياسة في التفاوض لإقرار السلام — ظل الجنرال واشنطن وهيئة قيادته على ضفة الهندسون قريباً من نيويورك ، وفي نوفمبر عام ١٧٨٣ أبحر البريطانيون إلى غير رجعة من مدينة نيويورك ، وقاد واشنطن قواته إلى جزيرة مانهاتان .

وفي حانة (فرولس) ألقي كلمة الوداع على جيشه وضباطه من حوله . وعندما ابتعد قاربه ببطء من شاطئ نيويورك أخذت الجموع المحشدة تهتف بتحيته ، ثم عبر تلك المساحة الشاسعة من مياه نهر هندسون الرمادية لكي يعود إلى موطنه بولاية فرجينيا . وأخيراً وصل قاربه إلى أسفل الجروف الهائلة بولاية نيو جيرسي ، حيث تطل المدن الهولندية على مجرى النهر الذي شهد أحداث الثورة الأمريكية .



السفينة «كليرمونت» في أول رحلة لها

٥ - وادي نهر الهدسون

امتاز أحد أيام شهر أغسطس عام ١٨٠٧ بالإثارة البالغة على نهر هدسون ، فقد ازدحم مجرى النهر بالسفن الصغيرة من كل نوع . وعلى الشاطئ كان هناك حشد كبير يعمرون عن سخريتهم لمنظر سفينة غريبة الشكل كانت تقف بجوار أحد أرصفة ميناء نيويورك .

(انظر ! يبدو أن مستر روبرت ليفنجستون سيفارس بحياته على ظهر هذه السفينة الشاذة) ، ولم لا ؟ فقد بناها بماله الخاص .

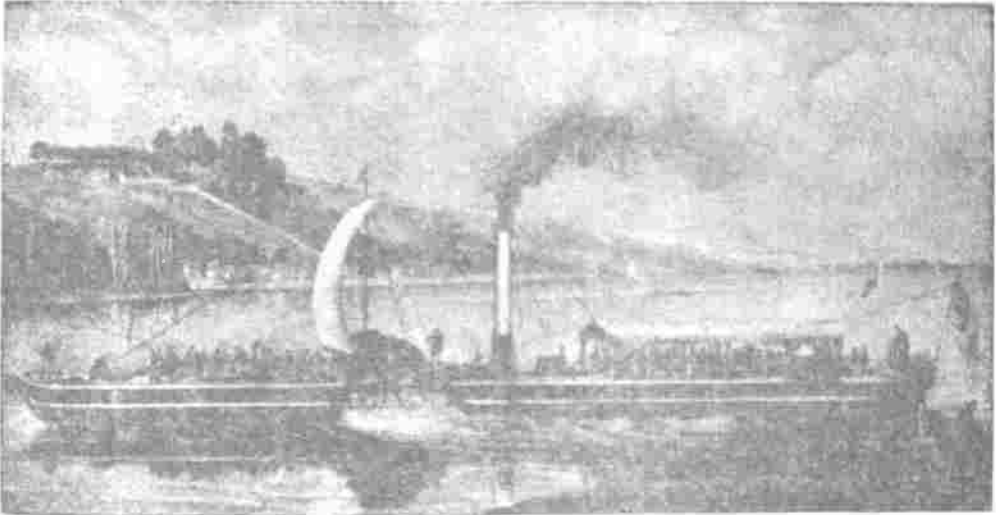
وازدحم رصيف الميناء بالمعطاء وقد أتوا ليركبوا السفينة ، كليرمونت ، التي أطلق عليها الناس اسماً مستعاراً (حماقة فولتون) ، وكانت أول سفينة بخارية تقوم برحلة فعلية .

« ها هو ذا روبرت فولتون ، المخترع يقف بجوار (هاريديت) ابنة مستر ليفنجستون » .

« لا ، ليس هو مخترع السفينة البخارية ، فقد رأيت (جوليانا) السفينة البخارية الصغيرة تعبر النهر من ثلاث سنوات ، كما يمتلك (فينش) واحدة من تلك الأشياء الخفيفة في بحيرة (كولسكت) وشكلها أشبه بغلاية الماء . »

« غلاية الماء ! إن منظرها يشبه الشيطان وكأنه يصعد النهر منطبقاً منشاراً للخشب . »

ولم يكن أحد يتوقع لهذا الشيء أن يتحرك . ولكن ما إن ركبها هذا الحشد الكبير حتى صعد البخار من المدخنة ، وابتعد الناس عن جوانب السفينة عندما تحركت بدالاتها لجأة ، وأثارت دفعات من المياه على الركاب الذين أخذوا يتصايحون في مرح . وكان بإمكانهم أن يشاهدوا على سطح السفينة المحرك والغلاية وهما يحدثان جلبة وضوضاء ، وقد أصبح لون الغلاية أحمر من شدة الحرارة ، وكان الدخان والثرر يتصاعدان من مدخنة ارتفاعها ثلاثون قدماً ، وقد وقف أحد الرجال إلى جوار الغلاية لكي يعالج « الشروخ » بالرماس المصهور .



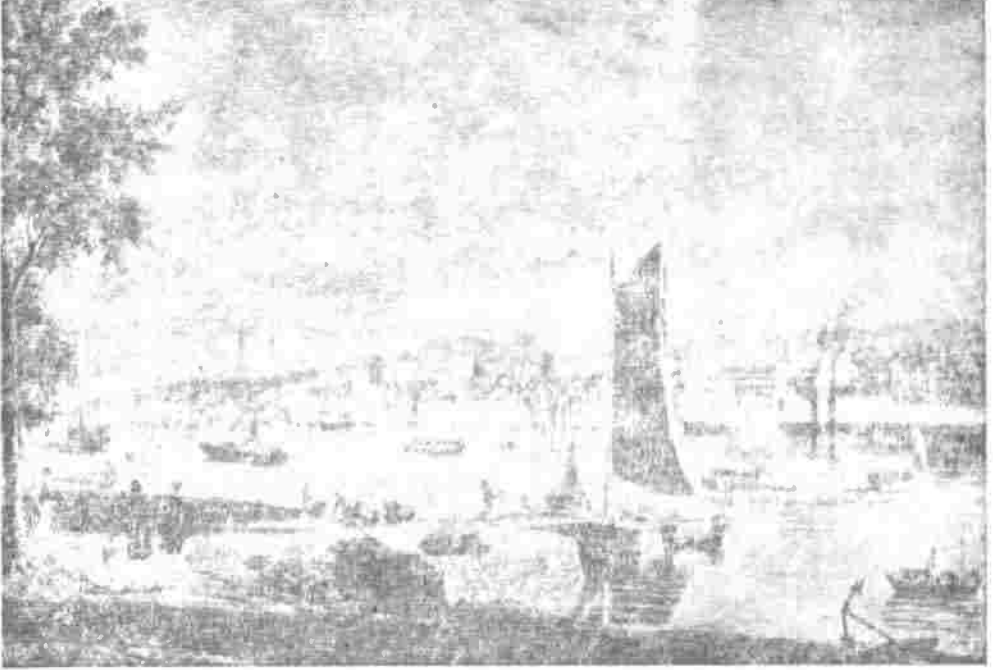
يبين هذا الرسم القديم السفينة « كليرمونت » ، وهي تستخدم الشراع والبخار ويبدو أن كل فنان رسم السفينة وفقاً لذوقه الخاص

واهتزت (الكيرمونت) قليلا وتحركت إلى منتصف النهر ، ثم صعدت
ببطء في النهر ، وتركت الجماهير خلفها وقد أخذتهم المفاجأة . فأخذ كل منهم ينظر
إلى الآخر في دهشة ، وتعجب بناء السفن والبحارة كيف يمكن أن تتحرك سفينة
بدون شراع ، وكيف تسير عكس اتجاه المد ، وبلغ من شدة الإثارة أن سقط
بعض الناس من فوق الرصيف إلى مياه النهر .

وعلى ظهر « الكيرمونت » أخذ الركاب في الضحك والقهقهة . ثم نزلوا إلى
بيت ليفنجستون على الشاطئ حيث أعدت وليمة لهم بهذه المناسبة ، واحتفالا
بخطبة هاريت ليفنجستون إلى روبرت فولتون . وبعد ذلك استمرت السفينة
البخارية في رحلتها حتى وصلت ألباني وأمكنها إتمام الرحلة في اثنتي وثلاثين ساعة.
واستغرقت رحلة العودة ثلاثين ساعة فقط . ولم يمر أسبوعان حتى كان هناك خط
منتظم للسفينة البخارية على نهر هدسون .

وأدرك ليفنجستون أنه يجب عليه حسن استغلال هذا الاختراع . ونظراً
لأنه كان من ذوي النفوذ في ولاية نيويورك ، فقد أمكنه استصدار قانون يمنع
تشغيل السفن البخارية إلا إذا دفع أصحابها رسوماً في مقابل استغلال هذا
الاختراع . وبالفعل صدرت أحكام قضائية بتعطيم سفن بخارية لاثنين من بناء
السفن في نيو جيرسي . وقام فولتون ببناء عدة سفن بخارية أخرى ، كما أدخل
عليها كثيراً من التحسينات .

وكان لا يزال هنالك بعض من الرجال في نيو جيرسي لم تثبط همهم بعد ، فقد
كانت ولاية نيو جيرسي تمتلك جزءاً من شاطئ النهر . وفي أحد الأيام انطلقت
سفينة بخارية صغيرة تسمى (ماوس أوف ذي ماونتين) أي فأرة الجبل ، من
مدينة إلزابيث تاون بنيوجيرسي إلى مدينة نيويورك . وأصدرت محكمة نيويورك
حكماً ضد صاحب السفينة ، ولكنه لم يحضر لآلته كان من سكان نيو جيرسي . وأقبل
الناس على ركوب « الماوس » مما دعا صاحبها إلى بناء سفينة بخارية أكبر سميت
(بلونا) ، وكان عليها قبطان من أصل هولندي يدعى (كورنيلوس فاندر بيلت) .



مدينة نروى كما تفاهد من الضفة الغربية لنهر الهدسون — عام ١٨٢٧

وعندما رست سفينته على الشاطئ الجنوبي لمسانان حاول رجال الشرطة القبض عليه ، ولكنه كان بارعا في الاختفاء والهروب منهم . ولكنه عندما سمع الهروب من رجال الشرطة اضطر إلى إعداد مخابأ سرى له خلف أحد الألواح الخشبية في قرنه ، حيث أخذ بعد ذلك في الاختباء من رجال الشرطة والضحك عليهم وهم يقلبون المكان بحثاً عنه .

وأخفق رجال شرطة نيويورك في القبض على «فاندريلت» والزج به خلف القضبان ، ولم يعد خافياً على الأهالي في جميع أرجاء البلاد قصة «فاندريلت» مع الشرطة ، والتي تشبه لعبة القط والفأر — فأبده الجميع بحماسة ، ونظرت القضية أمام المحكمة العليا للولايات المتحدة ، وعمر دانييل وبسنر بصوته العميق عن رأيه في المشكلة عندما قال : «لست من حق سكان نيويورك أن تتوافر لهم الحماية ضد هذا الاحتمار» .

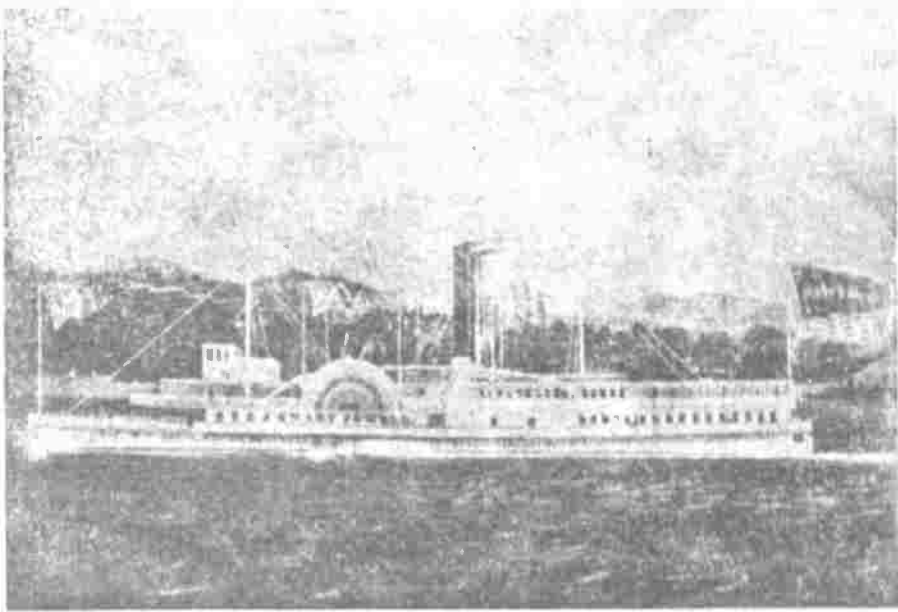
وقرر « مارشال » كبير القضاة وهيئة المحكة أن من حق جميع الناس أن يسمح لهم بتشغيل سفن بخارية على النهر . وعقب ذلك ازدحمت الترسانات بإنتاج أعداد كبيرة من السفن البخارية . وأخذت السفن الجديدة تنفث دخانها عالياً في صعودها النهر وهبوطها ، فتوقف نشاط السفن الشراعية إلا في مجال نقل البضائع . وأولع الركاب بالسفن البخارية وكان لكل منهم سفينة المفضلة . وعند كل رصيف كنت ترى عدداً من العاملين على تلك السفن وهم يروجون لسفنهم ، إذ تحولت إحدى السفن البخارية إلى ملهى ، في حين أصبحت سفينة أخرى مسرحاً لحفلات الأوبرا . وكانت المصاييح المضادة بالكهروسين تتلألأ كالنجوم على صفحة الماء .

وكنيت أحيانا تسمع أحد الرجال وهو يصيح : « سباق السفن البخارية حول رأس الجزيرة .. انظر إلى السفن وقد بدأت السباق » .

كان مثل هذا السباق محفوفاً بالآخطار ، فأحيانا كانت الغلايات تنفجر وتمزق من حولها من الناس إرباً إرباً . وكثيراً ما كان يحدث تصادم تكون نتيجته غرق كثير من الركاب ومن البحارة أيضاً في مياه النهر ، وكان لابد من وضع حد لذلك ، فبدأت جريدة نيويورك هيرالد حملة تنبيه فيها الناس إلى أن الغرض الحقيقي من تلك المسابقات كان تجارياً يخفى وراءه المنافسة للحصول على بضائع وركاب والدعاية . وانتهى الأمر بإصدار قانون يحرم مسابقات تلك السفن .

وباختفاء السباق أصبح النهر أكثر أمناً ، ولكن في الوقت ذاته أقل إثارة ، وكانت مملكة البواخر النهرية هي السفينة « ماري باول » التي بنيت عام ١٨٦١ ، وكانت بحق سفينة جميلة أنيقة استمرت تمخر عباب الماء في نهر الجبال العظيم لمدة ٦٢ سنة ، وكانت دائماً تحافظ على مواعيدها ولم يكن لها منافس حقيقى .

ومن الإعلانات الطريفة التي كانت تروج لتلك السفينة إعلان يقول : « سافر على « ماري باول » فإنها ستصل بك إلى المسكن الذى ترغبه في الوقت المحدد [وجسمك مكتمل الأعضاء . لأنها السفينة التي لم يفقد منها راكب قط] .



صورة بالزيت للسفينة التجارية ماري باول سنة ١٨٦١

وبعد انقضاء ثمان عشرة سنة على الرحلة التاريخية للسفينة كليم مونت جاء يوم آخر مشهود على نهر هدسون ، وكان ذلك في السادس والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٨٢٥ كان ذلك اليوم مشمساً فيه برودة منعشة ، وفي أثنائه اهتز كل فرد من السكان من ألباني إلى جزيرة ستانن خمس ملحوظ ، ووقف كل منهم كالوكان ينصت إلى شيء ما ، وسرعان ما سمعوا ما كانوا يتوقعون ، إذ حملت أمواج الهواء هديرًا بعيداً لقصف المدافع ، وكان ذلك بمثابة إعلان لسكان ولايتي نيويورك ونيوجيرسي بأنه قد تم ربط البحيرات العظمى بالمحيط الأطلنطي بواسطة القناة الجديدة - قناة إيرى .

وفي الرابع من نوفمبر سار موكب من القوارب على نهر هدسون يسحب كل منها صندوقاً رفعت عليه الأعلام والزينات ، وانطلقت الصفارات ، وأبواق ، وهتافات الناس ، تحية لهذه القوارب والصنادل التي كانت تسير متجهة إلى

المحيط الاطلنطى . وأقيمت الخطب ، ثم قام محافظ نيويورك بسكب مياه كبير من مياه بحيرة (إيرى) فى مياه المحيط .

وكان هذا لإيدانا بافتتاح قناة (إيرى) التى ربطت بحيرة « إيرى » بما فى البحيرات والمجارى المائية ، كما ربطتها بنهر هدسون . والآن أصبح بإمكان البضائع والركاب التنقل بمرأ من المحيط الاطلنطى حتى أعلى نهر هدسون ونهر موهوك ، ثم عن طريق قناة إيرى إلى البحيرات العظمى . ومن هناك كانت السفن تستطيع أن تتجه غربا بسهولة وبسرعة أكبر من ذى قبل ، وإذا كانت سفينة فولتون البخارية قد جعلت استيطان الأراضى الغربية ممكنا ، فإن إيرى جعلت من ميناء نيويورك واحدا من أعظم موانئ العالم ، وبفضلها انطلق وادى النهر بأكله نحو النمو المطرد السريع .

كان الكاتب واشنطن إيرفينج مشغوطا فى شبابه بالإناصات إلى القصص التى كان يرويها القباطنة ، كما أخذ فى التجوال على ضفاف الهدسون ليجمع القصص القديمة ويسجلها فى كتبه . ومن بين هذه الروايات قصة (إيكابود كرين) ، وكيف انطلق به أحد الجياد البرية غترقا مقابر كنيسة (سيليبى هولو) ، وكان اسم هذه القصة أسطورة (سيليبى هولو) ، وأصبح الناس عندما يأتون إلى النهر (بالقرب من تارى تاون) يطلبون مشاهدة المكان الذى تقابل فيه (إيكابود) التمس مع الشيخ الخفيف لأحد الجنود المرتزقة ، وكان هذا على جسر لا يبعد كثيرا من الشجرة التى تم عندها القبض على الميجور اندريه .

وكان بعض قصص إيرفينج نصيب الإلسان بالقصصيرة ، وبعضها الآخر كان فكها . ومن بينها ظهرت واحدة بدا أنها تنبأ بمستقبل جزيرة مانهاتن .



إيكابود كرين في انطلاقه الجنوني بالقرب من مقابر سليبي هول.

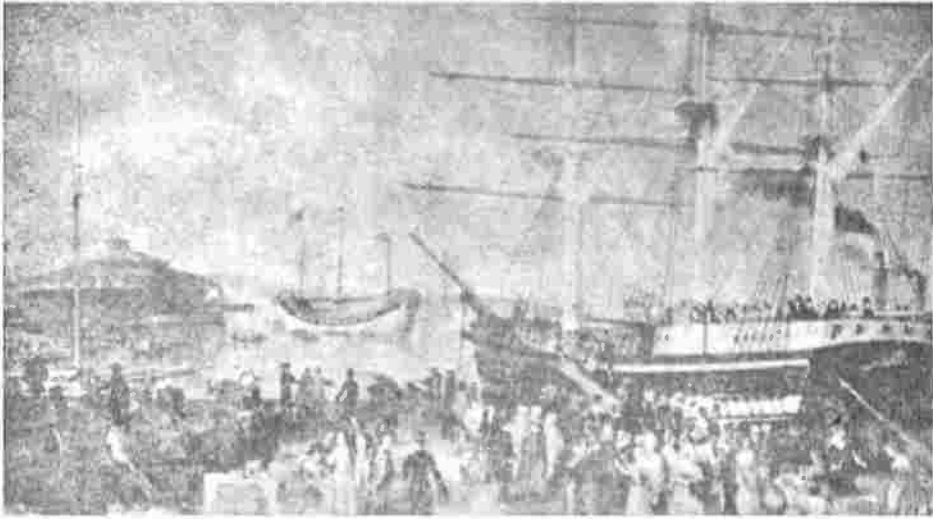
وكانت هذه هي قصة أولوف ، الحاكم ، الذي عاصر نيو أمستردام ، عندما كانت قرية . فبينما كان أولوف ، جالساً تحت شجرة بلوط أخذته سنة من نوم ، وتراعى له أن سائت يكتولاه ، قد أتى وجلس بجواره . وأخذ الدخان يتصاعد من غليون السائت إلى السماء مكوناً أشكالاً رائعة كلما افتح فيها . وبدأت هذه الأشكال ، ولأولوف ، وكأنها ، قصور وقباب ومآذن شاذة ، وإنما لتذكر حلم أولوف ، هنا عندما ما انظر إلى سماء نيو يورك عبر النهر .



(أولوف وهو يتخيل الدخان كالأذن والقباب العالية)

وكلما تقدمت السنين في القرن التاسع عشر أخذ ملاك الاراضى الأغنياء يتلاشون ، وأخيراً أصبح لمستأجر الأرض الحق في أن يملكها على الرغم من أن قلاع و الباترونات ، كانت لا تزال تقع على مرتفعات نهر هدسون ،

وشيدت أعمام أخرى للنازل . وكان بعضها بزين بقواطع خشبية يطلق عليها (خبز الزنجيل) ، وكان لبعضها الآخر ثمانية جوانب وكانت تسمى المنازل المشتملة الأضلاع ، وكان هذه المنازل قد بنيت على شكل ذراخ الفطيرة .



لوحة رسمها صمويل وو عام ١٨٤٧ تبين مدفعية نيويورك

وعلى ضفاف الهمسون جاء الفنانون ليرسموا المناظر الرائعة ، وأطلق عليهم (مدرسة نهر همدسون للرسم) ، وأصبحت (وست بوينت) الأكاديمية الحربية الأمريكية لتدريب ضباط الجيش ، كما أصبحت مدينة نيويورك المركز المالي للعالم .

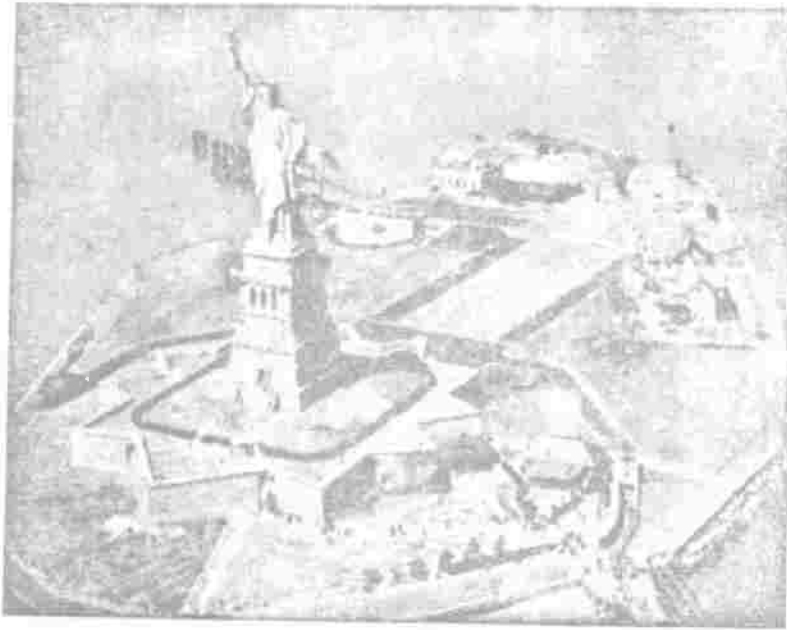
وكان النهر مزدهرا بالسفن والصنادل المائية . وحتى قوارب صيد الحيتان كانت لفترة ما تغلق من موانئ نهر همدسون . وأقيمت مبان حجرية ضخمة على ضفاف النهر لتخزين الثلج الذي كان يستقطع من النهر في الشتاء ثم يوضع فيها . وفي الصيف كان الثلج ينقل منها على ظهر الصنادل إلى المدينة . وكانت سفن الشحن تنقل البضائع إلى ألباني ، في حين كانت السفن البخارية تمخر عباب النهر دون انقطاع ، وعلى طول الشواطئ ، أخذت المصانع والمحاجر والقمارن ومصانع الاسمنت تظهر إلى جانب الحقول ومزارع الكروم ، كما مدت السكك الحديدية على طول ضفتي النهر .

وبنمو مدينة نيويورك أخذت قوارب العبور (المعدية) تنقل المسافرين من وإلى ليوجيرسي وجزيرة ستاتن . ودبت الحياة في الميناء فامتلا بالسفن من

شقي أرجاء العالم ، وازدحت « الترسات » بالعمل لتعد الامريكيين بسفن
أخرى جديدة .

وكانت أمريكا بالنسبة للأوربيين أرض الميعاد ، فلعدة سنوات لم ينقطعوا
يوماً عن الحضور إليها بقوارب محملة عن آخرها . وكانت أول قطعة أرض
أمريكية بطورها هي جزيرة « إليس » في ميناء نيويورك حيث أقيم مكتب الهجرة ،
ولم تبقى جزيرة إليس للهجرة طويلاً . ولكن في عام ١٩٠٧ عبر هذه الجزيرة
متجهاً إلى أمريكا ، نحو مليون وربع مليون مهاجر .

كان يوم ٢٨ أكتوبر عام ١٨٨٦ يوماً بارداً مطيراً . ولكن الآلاف من
سكان نيويورك تزاخوا جميعاً على أرصفة الميناء ، وانضم اليهم زوار كثيرون من
الولايات الأخرى ، كما كان مصب النهر مزدحماً بالقوارب من كل شكل ولون ،
وأعلام كل الدول قد طلقت لترفرف على صواريفها ، وبشاهد الجميع على جزيرة
و بدلو ، كتلة ضخمة مبهمة مغطاة بالعلم الفرنسي . وعندما أنزل العلم أطلقت السفن
صفاراتها وانطلقت مدافع البحرية تحية وإجلالاً للثال الحرية .



تمثال الحرية قائماً على جزيرة صغيرة في ميناء نيويورك



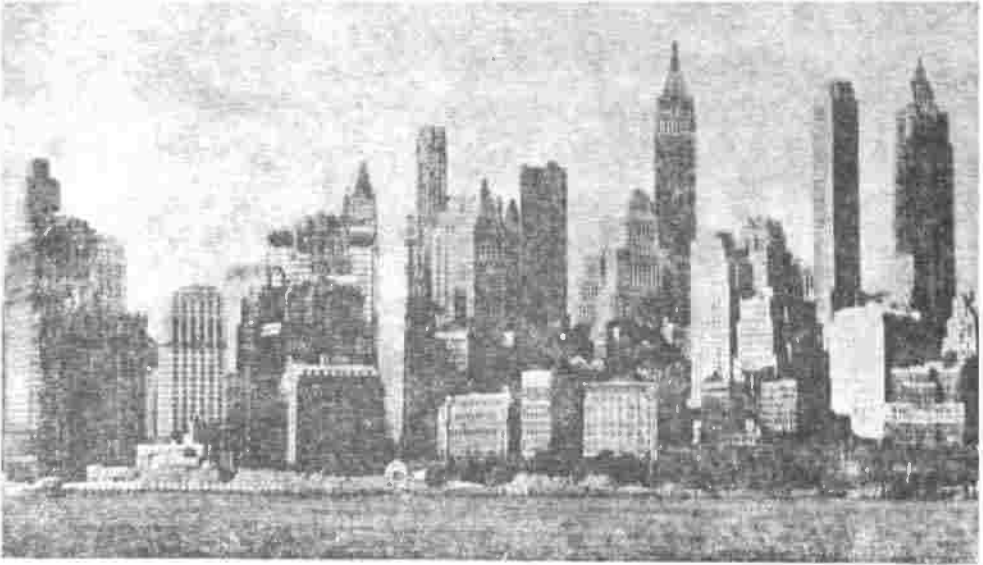
وفي داخل قاعدة هذا النصب التذكاري نقشت قصيدة كتبها (اما لازاروس)
وهي تتضمن هذه الايات :

(. . . أعطى قومك المتعبين ، قومك الفقراء
قومك المتحرقين شوقا لتنفس عذير الحرية الفراء ،
تلك الجموع التي تلفظها بلاد الاصدقاء
ارسل إلى بمن لا بيت له ، بمن قاسى شظف الحياة .
فإننى أرفع مفعلى لأنير طريق الخيرات .)

ويبلغ طول التمثال المصنوع من النحاس ١٥١ قدما ، ويرتفع فوق مستوى مياه
نهر هدسون والخليج حتى أعلى الفتحة بمسافة ٣٠٥ أقدام . ومن أهل التمثال عند
الرأس يستطيع الإنسان أن يرى منظراً رائعا عن بعد للنهر الذى يجرى فى اتجاهين .

وبانتهاء القرن التاسع عشر كان الناس يطلقون على المدينة القائمة على الجزيرة
فى نهر هدسون (نيويورك القديمة الصغيرة) . لقد كانت مدينة مثيرة كثيرة النشاط
دائمة الحركة والتغير .

→ تمثال الحرية الذى أهده الشعب الفرنسى عام ١٨٨٤ إلى الولايات المتحدة



٦ - مدينة ناطحات السحاب

لابد وأن تتغير ملاح ضفاف النهر مادام الإنسان يقطع ويجفر وينسف ويبني ويرصف على ضفتيه . وقد كان نهر الجبال العظيم في فترة ما هو الطريق الوحيد الموصل بين ميناء نيويورك والأماكن البعيدة في الشمال والغرب . كما كانت القرى الصغيرة المتعزلة المترامية بين الجبال تبدو بميدة بعد أوطان الهولنديين والفرنسيين والإنجليز والألمان عبر البحار . كما كان النهر يعج في فترة ما بالسفن الشراعية .

وقبل ذلك بوقت طويل كانت القوارب المصنوعة من قلف الشوكران تجوب مياه النهر ويوجهها السكان الهنود بمجاديفهم ، وكانت هناك غابات تتروج أشجارها قم أجراف البالسيدز المرتفعة . وقد عا كانت هناك جزيرة تسمى مانهاتان تمتد فيها الحضرة من مجرى (سبونين دو يغل) حتى حديقة (باترى) .

لم يعد هناك الآن أى من السفن البخارية التى تضرب المياه ببدالاتها خلال رحلاتها المنتظمة إلى ألبانى ، كما لم تعد هناك سفن هواندية تخفض شراعها الأكبر تحية إلى العفريت (هير) بيوفه وقبعته التى تشبه قبع السكر عند جبال الرعد .

ولكن مازال بإمكان سكان نيويورك أن يتكبدوا على قوارب النزهة فى الأيام القانطة الحر فيذهبون إلى جبل (بير) لرحلاتهم الخلوية لإقامة المعسكرات وفى الحريف تستخدم السفن البخارية فى الرحلات الخاصة إلى وست بوينت لحضور مباريات كرة القدم .

وتجمرى السيارات إلى جوار النهر شمالا وجنوبا وتأتى بالناس من كل مكان ليستمتعوا بجمال الطبيعة الخلابة . فهذه مدينة شلالات (جلنز فولز) حيث تولد طاقة لتشغيل المصانع من مياه النهر المتساقطة . وهناك (ألبانى) العاصمة قائمة على أحد التلال ، وقد حولت القلاع والقصور ومنازل العظماء السابقين إلى مدارس ومستشفيات ومبانى للسكنائس . ولم يبق غير حفنة قليلة من أحفاد الباترونات الهولنديين وملوك الأرض الانجليز الذين مازالوا يقيمون فى ضياعهم القديمة .

ولا تزال توجد بعض المنازل القديمة على ضفة النهر فى (هيدسون تاون) تبدو وكأنها تنتظر عودة قوارب صيد الحيتان مع قدوم المد والريج المواتية . وبمقدم الربيع تنشط سفن نقل البضائع على النهر متجهة إلى الجنوب فيستشق بحارتها عبر البنفسح الذى تأتى به الريح من (راينيك) حيث تزرع مساحات كبيرة من هذا الزهر .

وكثيراً ما يأتى الفنانون من مستعمرة (وود ستوك) فى منطقة جبال كاتسكيل إلى سوجرتيس على الضفة الغربية للنهر حيث يحلو لهم رسم لوحات لهذه المدينة الزاهية الألوان . وبالقرب من هناك تتجمع النهرات الجميلة وتنصب فى خزان (أشوكان) الضخم الذى يمد نيويورك بالمياه بواسطة الانابيب .

وفى هايدبارك على الضفة الشرقية توجد مقاطعة تعتبر مزاراً قومياً . إنها موطن فرانكلين ديلنو روزفلت . ويقوم الزوار بالتجوال فى القصر لرؤية الأشياء التى



« ساني سايد » وهو منزل واشنطن إيرفينج — مفتوح الآن للزوار

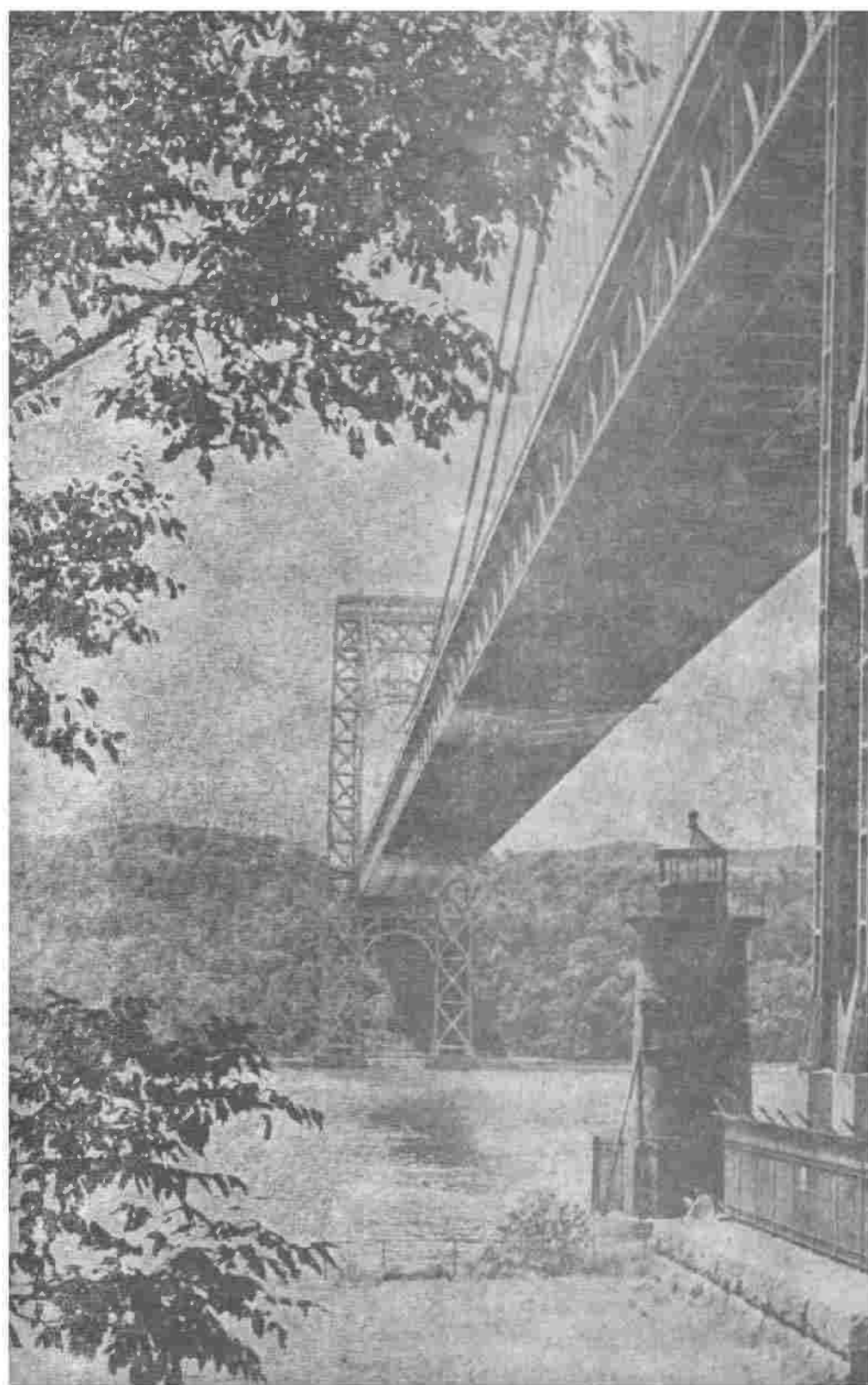
كان يستعملها روزفلت — فيشاهدون رداء أسود وصفوفا من الكتب التي يبدو عليها كثرة الاستعمال ونماذج للفن ويشاهدون الكرمي ذا العجلات الذي كان يجلس عليه الرئيس روزفلت ليقود أخته في أيام الحرب الهوجاء . ولم يتغير النهر نفسه ابتداء من منبهه من جبل (مارسي) حتى مصبه في المحيط . ولكن هناك كثيراً من التغيرات حدثت على سطحه وجانبيه ومن تحته ومن فوقه . فهناك من التغيرات ما يكفي لأن يهبط أنفاس أي مواطن هولندي بدين من سكان نيو أمستردام القديمة ، إذا هربث إلى الحياة .

ويوجد عديد من الجسور في الجزء الأعلى من النهر . ففي منطقة (الهابلاندز) يقوم جسر مرتفع بالربط ما بين جبل (بير) وبين (انتوايز نوز) ومن هذه

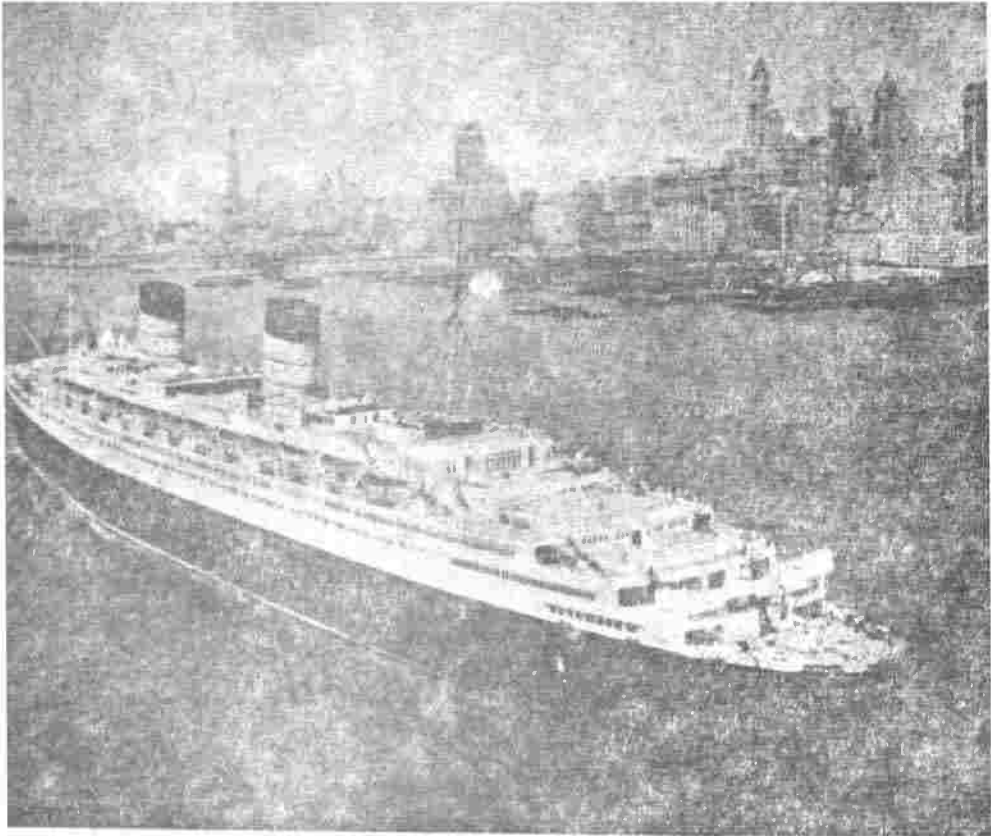
النقطة يأخذ الطريق في الالتواء ماراً بعدة مدن مزدانة بالأشجار الوارقة ، كما يمر بسجن (سنج سنج) السكيب في (أوسينينج) ، ثم في النهاية يصل إل تارى تاون حيث يقع بين واشنطن وإرفنج الذى يقد إليه الزوار لمشاهدة تكوينه العجيب من مجموعة من الجملونات الأنيقة ذات الروايا الكثيرة والأركان (كأنه قبة ذات حرف) على حد وصف إيزفنج .

ومياه الجزء الأدنى من نهر هدسون دائمة الحركة تبعاً للبد والجزر والرياح والأمطار . فيعتبر سطح النهر مجالاً مناسباً لسباق القوارب والذئذ ، بالنشآت ، ذات المحركات الخارجية ، وعلى الشاطئ الغربى تعرضت تلال الباليسيدز لحطّ الدمار التام في مطلع القرن العشرين . إذ أقيمت المهاجر الكثيرة لاستغلال الكميات الهائلة من الحصى والأحجار . فذُفست الأجزاء النائية من الجبال ، وقطعت الأشجار الضخمة . وقام مواطنوا الولايتين بإبداء معارضتهم لهذا التشويه ، وبذلك تمكنوا من إنقاذ الجروف الخلابة المنظر ، وبعض من الغابات التى استخدمت بعد ذلك كحدائق عامة .

وجنوبى الهايلاندز أقيم جسر جديد يربط بين (نياك) و « تارى تاون » ، عابراً منطقة التابان زى . وإذا هبطنا فى النهر أبعد من ذلك فإننا نشاهد فى فصل الربيع الشباك وقد نصب على جانبي النهر حيث ترسو سفن الفحم والبخوت والسفن البحرية ، وهنا يأتى الصيادون بما جمعوه من سمك الشابل الفضى اللون . ويمتد جسر جورج واشنطن الذى يعلو هذه الشباك يربط مرتفعات فورت لى بمرتفعات واشنطن ، وهو أحد أطول ثلاثة جسور معلقة فى العالم . كما قيل عنه أيضاً إنه أجمل الجسور على الإطلاق . وأسفل الجسر عند مرساة جيغرى نجد منارة حمراء صغيرة لا تزال قائمة وقد تم الاحتفاظ بها بسبب تعلق الأطفال بها على الرغم من أنها لا تضاء منذ زمن .



وعندما تشتعل إحدى الحرائق على شاطئ النهر تهرع إليها قوارب الحريق بسرعة خلال حركة السفن المزدحمة على النهر وتوجه إلى النيران سبلا من المياه المضغوطة لإطفاء الحريق . وتقوم قوارب شرطة الميناء بدوريات منتظمة على النهر الذي لا تهدأ عليه الحركة أبدا . ويتم إدخال عابرات المحيطات الضخمة إلى أحواضها بواسطة قاطرات صغيرة تقوم بسحبها . انظر إلى تلك السفينة الضخمة . إنها (الولايات المتحدة) وتلك هي (كوين إلزابيث) كاتصل إلى الميناء وتبحر منه عابرات أخرى من شتى أرجاء العالم .



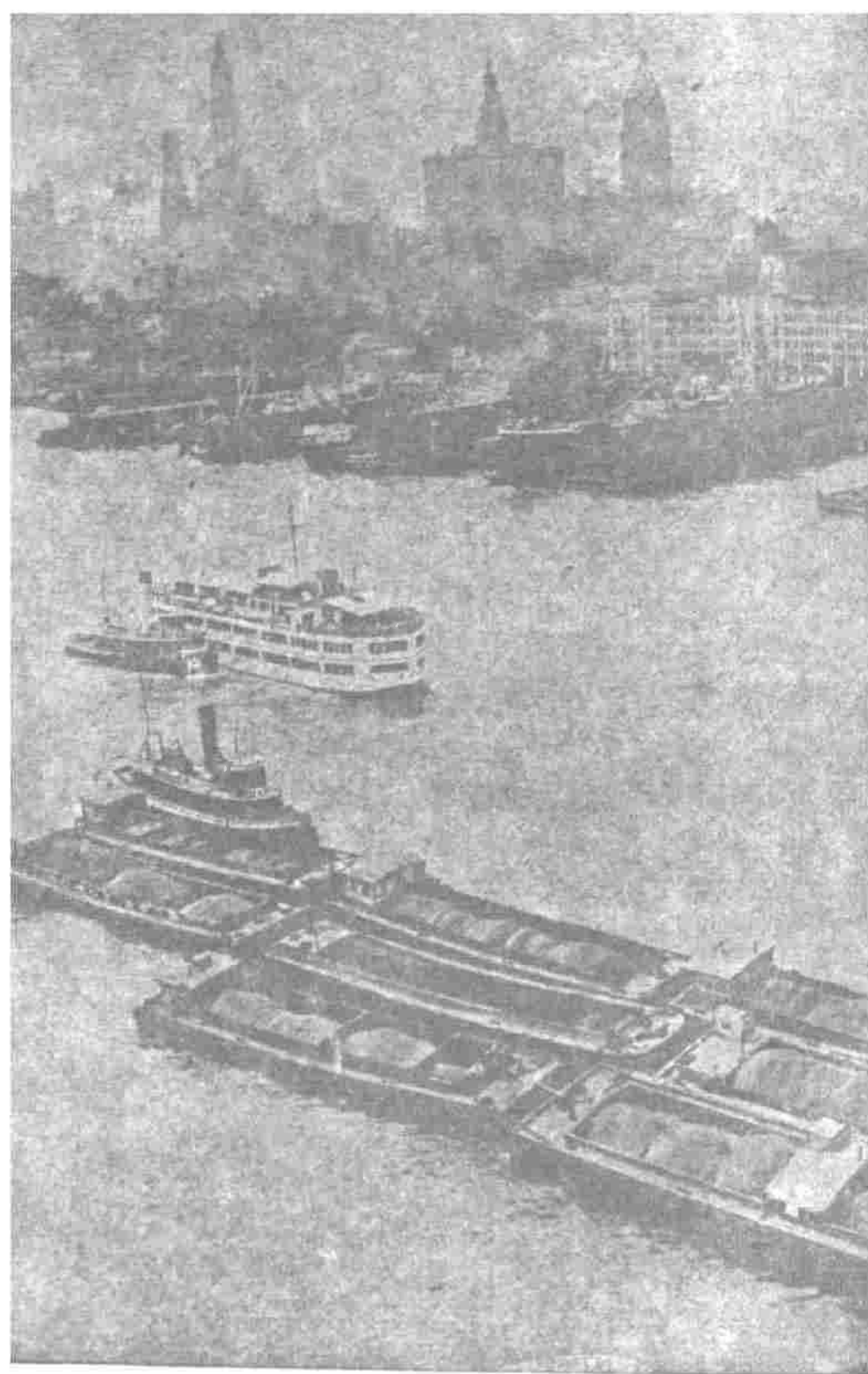
السفينة كوين إلزابيث وهي تدخل ميناء نيويورك .

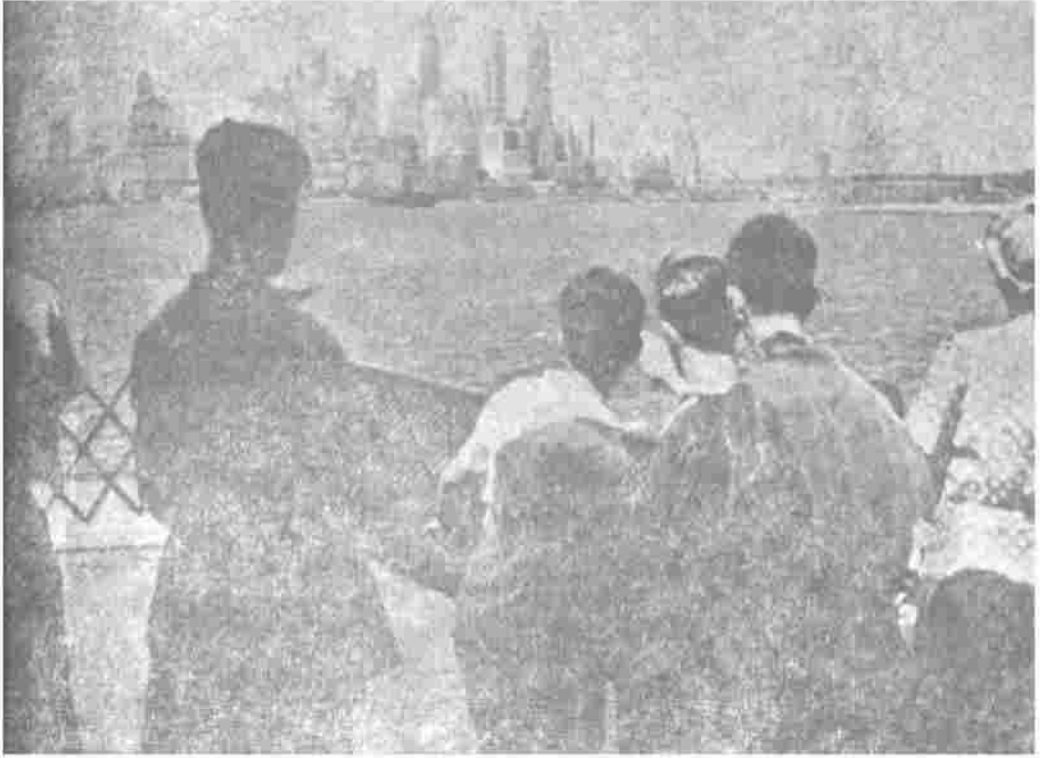


وفي الصيف تقوم قوارب الزهرة الصغيرة بالنوران حول جزيرة مانهاتان
دون أن تخشى (سبوتين دوبفل) أو (شيخ بوابة الجحيم) .

وتحت مياه نهر هدسون توجد أنفاق للسكك الحديدية والسيارات . ففي كل
يوم تأتي إلى مانهاتان وتخرج منها آلاف السيارات خلال نفق (لينكولن)
و (هولاند) .

ويثلا فوق مياه نهر هدسون ضوء الشمس عند انعكاسه على الاجنحة
الفضية للطائرات ، ولم يعد صوت انفاثات الأسرع من الصوت يتردده السكان .
وفي الليل تزدان السماء بالألوان الحمراء والبيضاء التي تنبعث من الطائرات عند
إقلاعها أو هبوطها . . كما تحلق الطائرات (المليكوبتر) فوق جسر جورج
واشنطن لمراقبة سير صفوف السيارات ، وبين الحين والآخر يبدو الميناء





ركاب معدية جزيرة ستاتن وهم ينظرون إلى ناطحات السحاب

وكأنه سينفجر من نأثير الألعاب النارية والضجيج عندما تكون هناك مناسبة
بمفضل بها .

وعلى امتداد النهر تجري أعداد لا حصر لها من السيارات ليلاً ونهاراً ، على
الطرق التي كانت فيما مضى دروباً يستخدمها راكبو الدراجات . وإذا بحثت الآن
عن (المعديات) القديمة فإن تجد معظمها فيما عدا معدية (جيه إم سيني) و (ستاتن
أيلاند) .

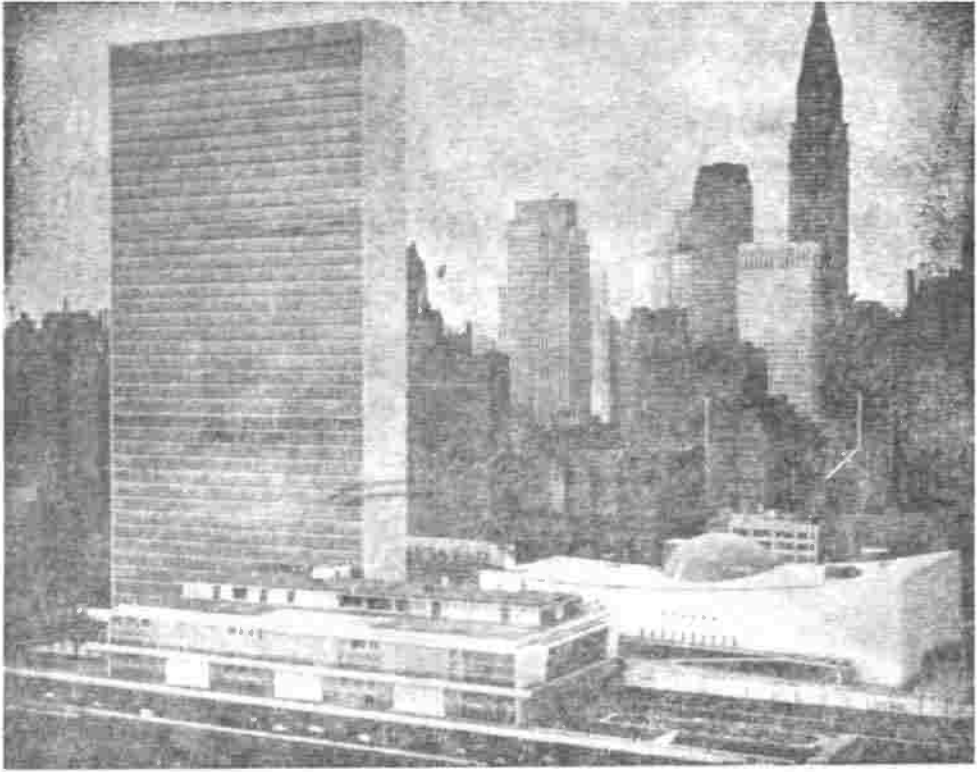
ولم تعد مدينة نيويورك صغيرة كما كانت الحال قديماً . فإن تعداد سكانها الآن
بعضها في المرتبة الثالثة بين أكبر مدن العالم . ففي شوارعها المحاطة بالمباني العالية
تجد أحياء متكاملة يقطنها الأجانب من كل مكان في العالم .



أرصعة السكك الحديدية على شاطئ مدينة جيرسي وقد تراكت البضائع عليها

ومع ذلك فإن مدينة نيويورك لا يبدو عليها القدم بتاتا ، فهي دأمة للتغيير ،
دأمة الخدم ودأمة الإلقاء . ويخيل للمرء أن مباني مرتفعة من الصلب والزجاج
قد أقيمت بين عفية وضحاها ، فنلا شارع (برودواي) الذي كان يوما ما شارعاً
صغيراً نظله الأشجار ، أصبح الآن من أطول الشوارع في العالم . وفي المساء
تراه متلئلاً بأضوائه الباهرة .



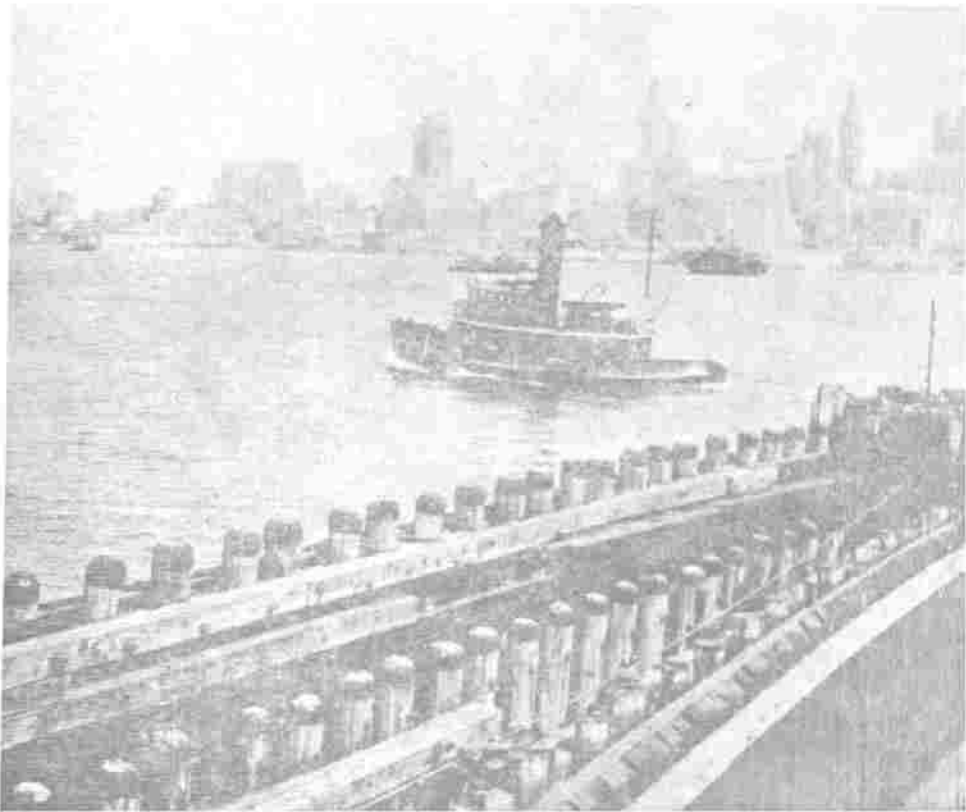


مبنى الأمم المتحدة يرتفع على ضفة نهر ايسف في وسط مانهاتن .

وبلغ طول جزيرة مانهاتن ثلاثة عشر ميلا وعرضها ميلا ونصف ميل .
ولفراً لتعذر التوسيع الأفقي فقد كان الحل هو التوسيع الرأسي ، فأخذت ناطحات
السحاب في الارتفاع نحو السماء في أشكال مدببة ومستطيلة ، بينما كان الحفر جارياً
لعمل الأنفاق .

إن نهر هدسون الذي لفاً على منحدرات جبل يخترق السحب في سيرها ينتهي
كذلك عند مدينة شمنخ مبانها لتناطح السحب . ولم يعد هنالك أثر الجزيرة
التي نام فوقها (أرلوف) وشاهد حله العجيب . كما اختفت بين صفحات

الكتب تلك المدينة التي كان يطلق عليها منديستين عاما (نيويورك القديمة الصغيرة)
ولكن حلم (أولوف) قد تحقق ، فإن التغير يأتي ويذهب ، ولكن نهر الجبال
العظيم الذي لسب إلى هنري هندسون لا يتغير أبداً في الحقيقة ، إذ تندفق مياهه
في مجراه العميق حتى تتلاشى وسط الأمواج المتلاطمة للمحيط الأطلنطي .



نقوم القاطرات بدور كبير في حركة الملاحة على الجزء الأدنى من نهر الهندسون

صدر من هذه السلسلة

- ١ - النيل شريان الحياة في مصر ترجمة فؤاد إسكندر
- ٢ - نهر البانج نسي د الطريق الرئيسى فى قلب الصين ،
ترجمة مصطفى عبد الهادى
- ٣ - المسيحي وعلاق فى مسيرته ، ترجمة سعد الدين إبراهيم عبده
- ٤ - الكونغو د يفتق أواسط أفريقيا ، ترجمة مصطفى عبد الهادى